72366 — 73864

REGD No. LW /NP 59

ALBAAS-EL-ISLAMI

صدر حديثاً :

قصص من التاريخ الإسلامي

للأطفال

بقلم : سماحة العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي

انطلاقاً من الشعور الأكيد بتكوين مكتبة أدبية إسلامية للأطفال ، اختار المؤلف مواد جديدة من كتب التاريخ و صاغها في لغة سهلة ، و أسلوب مبسط لائق بمستوى الأطفال ، و الذين حصلت لهم إلمام باللغة العربية ، وبدأوا يفهمون اللغة السهلة الميسرة .

هذا الكتاب القصصي الجميل يحتوي على ١٨/ حكاية إسلامية مختارة .

قام بالنشر و التوزيع :

رابطة الأدب الاسلامي ، ندوة العلماء

ص- ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)

قام بالنشر و التوزيع جميل أحمد الندوي من مؤسسة الصحافة و النشر ندوة العلماء

رئيس التحرير : سعيد الأعظمي

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فضيلة الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله سنة ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

العدد الثالث — المجلد السادس و الثلاثون

ذو القعدة ١٤١١ — مايو و يونيو ١٩٩١م

المراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص.ب ٩٣ لكناؤ الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI C.o. Nadwatul Ulama
P O Box 93. Lucknow (INDIA)

إلى الاخوة القراء

بمشيئة الله تعالى و توفيقه دخلت المجلة فى عامها **السادس و الثلاثين** ، و لا يسعنا تجاه هذا التوفيق الكريم إلا أن نحمد الله سبحانه و تعالى و نشكره بصفة دائمة ، على ما أكرم به إيانا من الاستمرار فى خدمة البعث الاسلامى ، و نرجو أن يؤيدنا بالاستقامة و الثبات و الصمود فى هذه الجبهة الدقيقة ، و خاصة فى الظروف الحالية الحرجة التى تتعرض لها الأمة الاسلامية، وهى أخطر و أدق مرحلة من تاريخها الحاضر ، و إن أدنى خطأ فيها يوديها إلى نتائج مريرة و وخيمة جداً ، لا يعلم مداها إلا الله ، فلندع الله أن يثبتنا على الجادة ، و يأخذ بأيدينا لأداء أمانة الكلمة و القيام بها فى هذه المرحلة الدقيقة التى تزل فيها الأقدام و تتشبط فيها الهمم « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » .

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : ستون روبية

ثمن النسخة ست روبيات :

★ فى العالم العربى وفى جميع دول العالم .

١٨/ دولاراً بالبريد السطحى .

و ٣٥/ دولاراً بالبريد الجوى .

عنوان المراسلات :

مكتب البعث الاسلامى .

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص . ب ٩٣

لكناؤ (الهنـــــد)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o. NADWAT UL ULAMA
P. O. Box : No. 93.
Lucknow. (INDIA)

★ المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها .

في هذا العدد

★ الافتتاحية

حينما يتحول الدمار و الجريمة فلسفة للحياة ! — سعيد الأعظمي — ٣

★ التوجيه الاسلامي

أسماء الله الحسنى وصفاته الذاتية و الفعلية — معالي الدكتور راشد عبد الله الفرحان — ١٠

أكبر خطر على العالم العربي — سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي — ٢٠

★ الدعوة الاسلامية

إلى من أنار الله بصيرته — دكتور محمد بن سعد الشويعر — ٢٥

مصالح الناس و مراتبها في الشريعة الاسلامية — الأستاذ محمد خالد سيف الله الرحماني — ٣٣

★ دراسات و أبحاث

كعب بن زهير ، نسبه و شعره — الأستاذ المحقق أبو محفوظ الكريم معصومي — ٤٢

السلطات الثلاث و رؤية الاسلام إليها — دكتور فؤاد عبد المنعم — ٥٠

★ دراسة في الحديث و أصول الحديث

العلاقة بين الكتاب و السنة — فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلي — ٦٢

تصور الدولة في الاسلام و مصادرها الأساسية — الأستاذ محمد خالد الندوي — ٦٨

★ الأدب الاسلامي

على أحمد باكثير — السيدة سامية وفاء بنت بهاء الأميري — ٧٦

بركة (أم أيمن) — فضيلة الأستاذ محمد حسن بريغش — ٨٥

★ صور و أوضاع

عصر الظلام و عصر النور — واضح رشيد الندوي — ٩٠

★ مراكز التعليم و الثقافة في الهند

الجامعة الاسلامية بهنكل — الأستاذ محي الدين المنيري — ٩٥

★ أخبار اجتماعية و ثقافية

كتب حديثة (أخطاء المفكر) — قلم التحرير — ٩٧

رحلة حج قبل نصف قرن — » » — ٩٧

فضيلة الشيخ منة الله الرحماني في ذمة الله — » » — ٩٨

فضيلة الشيخ القاضي زين العابدين سجاد الميرتي في ذمة الله — » » — ٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

حينما يتحول الدمار و الجريمة فلسفة للحياة !

جاءت الحرب الخليجية التي تولاها النظام العراقي و فرضها على المنطقة بكاملها ، بفلسفة جديدة للحياة ، تتلخص بإيجاز في بناء المجتمع على أنقاض القيم الانسانية و المعايير الخلقية ، وهي فلسفة هدامة للميزة الاسلامية التي يتميز بها الانسان المسلم ، ذلك أنها تنبع من عقلية ذات سلبيات لامكان فيها للايجابيات التي يحرص عليها الاسلام في حياة الفرد و الجماعة ، سواء كان ذلك بتغيير المنكر فقط ، أو بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، فقد دوى الصوت النبوي الكريم في خلال إرساء قواعد الحياة الاسلامية بتوجيه الفرد المسلم إلى ما يجب أن يعتمد عليه في وضع الحجر الأساسي لحياته : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، و ذلك أضعف الايمان » أما الأمة التي سميت خير أمة أخرجت لدعوة الناس إلى أكرم و أشمل منهج للحياة و لقيادة العالم البشري كله نحو السعادة و العز و القوة ، فهي لا تتمثل بصورتها الجميلة الجذابة إلا إذا قامت بمسئولية الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر بأحسن و أكمل وجه « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله » و لكنها إذا أخلت في أداء هذا الواجب الديني و الاجتماعي ، فانها تؤخذ بعقاب من عند الله ، و بسخط كبير منه ، حيث إنه يصرف عنها النظر ولا يستجيب لها دعاء ، كما جاء فيما رواه الترمذي عن حذيفة رضي الله

تعالى عنه عن النبى ﷺ قال : و الذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف و لتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم ، رواه الترمذى و قال : حديث حسن .

لقد قامت هذه الأمة — وكل فرد من أفرادها — على النهج المستقيم و الخلق العظيم ما كانت متمسكة بهذا المبدأ البناء ، و كان لها دورها العظيم فى القيادة السليمة و الدعوة إلى المعروف من الفضائل و الأخلاق و الأعمال ، و إن ما سجله التاريخ الاسلامى من الانجازات الهائلة فى مختلف فتراته فى مجال البناء و الاصلاح و التوجيه و النصح لأسطع دليل على أن المنهج الاسلامى للحياة هو الموحى إلى النبى ﷺ من ربه الكريم ، وهو يتفق وفطرة الانسان فى جميع مراحلها ، و ظلت الأمة الاسلامية قائدة للمسيرة البشرية فى ظل هذا المنهج الربانى الكريم ، و ربطت مصيرها بالوحى و تعاليم السماء الشاملة الكاملة ، فتمكنت من استبدال الفساد الخلقى و الجور الاجتماعى الذى عاشه الانسان الجاهلى بالعدالة و الصلاح و دوافع الحب و النصح و الخير ، و اقتلاع جذور العداوة و عبادة النفس و الأهواء و ترسيخ أصول الأخوة الايمانية و عبادة الله وحده .

إن القيم الخلقية المثلى التى قامت على أساس عادل متزن من العقيدة هى التى ألفها المسلمون و عاشوا عليها فى جميع أحوالهم و ظروفهم ، و قامت عليها المجتمعات الاسلامية فى كل مكان ، بل الواقع أن المجتمعات الانسانية و الحضارات المادية كذلك اقتبست من نورها و بهائها شيئاً كثيراً ، و رغم انتكاس الطبائع فى مجتمعات المسلمين و بلدانهم ، و ضعف الوازع الدينى و الخلقى لديهم لم توجد محاولات مدروسة مدبرة و مخططات مدققة لقلب المقاييس و تدمير الحقائق الاجتماعية و الخلقية و إحلال السلبيات محل الايجابيات ، إلا ما قام به صدام حسين أخيراً فى عملياته الخرقاء و أنانيته الحمقاء ، بالعدوان و الاحتلال و الظلم و سفك

الدماء و انتهاك الحرمات و جميع الرذائل و المنكرات التى استساغها و تمرغ فيها من الأطفال و الشيوخ و النساء سواء فى داخل بلاده أو خارجها على السواء لكان مثل هولاكو و جنكيز أو مثل أصدقائه السوفيات فى الغزو الأفغانى و القضاء على الجهاد الاسلامى هناك ، و لكنه فى الواقع لم يكن هدفه الغزو و التدمير ولا القتل و التشريد فحسب ، إنما كان يريد من وراء ذلك أن يقضى على طبيعة الحياة الاجتماعية فى الاسلام و يخنق فطرة الدين و الأخلاق ، و يحرم المسلمين تلك السعادة الغامرة التى عاشوها فى ظل الاسلام و قامت عليها أواصر الأخوة والقربى فى المجتمع الاسلامى (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .

ولكى يتحقق هدفه هذا المنشود اعتمد على كلام معسول يذكر فيه الدين و الخلق و يذكر اسم الله فى مناسبات متعددة ، و يتظاهر بأنه المجاهد البطل المؤيد من الله ، و المدفوع منه إلى ما يقوم به ، ولم يبال فى ذلك بالحلف الكاذب و شهادة الزور ، على أن ذلك كله لم يكن إلا سلاحاً لكسب تأييد المسلمين و استغلال الفرص لتبرير اعتداءاته و تدميراته الواسعة ، وفعلا هتف له الجماهير من المسلمين شرقا و غرباً ، و اغتروا بأساليه هذه الكاذبة المزورة ، و أعجبوا به أيما إعجاب ، ظناً منهم بأنه يحارب أعداء الاسلام من اليهود و الأمريكان و يهددهم بأسوأ العواقب ، دون أن يفطنوا لما قد أكنه فى نفسه من حرب على الاسلام ، وما عزم عليه من تحويل مركز الاسلام و مقدساته إلى مركز لانتقاض الأفكار المخفقة التى ولت من غير رجعة ، و من تجديد تاريخ الجاهلية الأولى ، و العودة باللات وهبل و عزى و مناة إلى بلد الله الأمين و بيته المشرف — لا قدر الله

ذلك أبداً — ذلك أن الفلسفة البعثية التى هو يحمل لواءها و يتفانى فى الحدب عليها ، لا تقبل منه أقل من هذه العملية الكافرة ، و إن المطلعين عليها ليعرفون طبيعة أصحابها و مؤسسها الأول ، حيث إنهم لا يتنازلون عن هذه النفسية القاصرة فى شئ منها ، بأى ثمن مهما كان غالياً ، و لقد صدق على صدام حسين قول الله تبارك و تعالى فى كتابه العظيم الذى يقول فيه : « و من الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، و يشهد الله على ما قلبه وهو ألد الخصام ، و إذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها و يهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ، و إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم ، فحسبه جهنم ، و لبئس المهاد » .

و لاشك فان دراسة نتائج هذا الغزو ثم الحرب المدمرة ، تودينا إلى أن قلب الموازين و المعايير الخلقية و الاجتماعية كان الميزة الكبرى و السمة البارزة لها ، فقد حل الشقاق و النفاق و العداوة و البغضاء محل الوفاق و الاخلاص و الحب و الاخوة ، و أصبحت للشكوك و الشبهات جولة وصولة فى النفوس ، و نالت الرذائل و الأمراض الخلقية رواجاً واسعاً فى مجتمعاتنا ، و تشتت شمل الانس و المحبة و تبدل بالفرقة و الانشقاق ، إن اتساع دوائر التدمير بأنواعه و تخريب البيوت و المساكن و هدم المنازل و المنشآت وقطع شرايين الحياة بالدمار الكامل للحاجيات الأساسية و المرافق الحيوية اللازمة من الماء و الكهرباء و المواصلات ، أثار حفائظ الناس و ملأ قلوبهم غيظا وحنقاً ، لا فى الكويت وحدها بل فى جميع البلدان العربية و الاسلامية ، وهل يستطيع شخص أن يقدر مدى العداوة و الكراهية الشديدة التى يعيشها الذين كانوا بالأمس إخواناً متقابلين و أصدقاء متعاونين فيما بينهم ، و لكن القلوب تجيش اليوم بغضاً وكرها وحقداً وعداوة ، كأنهم عادوا إلى تلك الحالة التعسة من الجاهلية التى تميزت بهذه الرذائل .

و رغما من عودة الغزاة الهاربين و تركهم الأراضى المعتدى عليها خلفوا فيها من الظروف الخانقة ما لا تهنأ معه حياة ولا تهدأ نفس ولا يستقر فيه وضع ، فكلنا يعلم أن الحريق الواسع المكثف الذى يشمل آبار البترول التى تتراوح بين خمس مأة وسبع مأة بئر ، نتيجة للتدمير الذى خلفه الغزاة ، قد ضيق الخناق على أبناء البلد و الساكنين فيه ، و عكر عليهم الحياة ، و جعلهم يتنقلون من بلادهم إلى حيث يمكن أن يتنفسوا فيه الصعداء ، و مع ذلك فاننا لانكاد نصرف النظر عن مشكلة الأمن و السلامة ، فان كثيراً من الهدامين و أعداء الأمن لا يزالون مختبئين فى خبايا صنعوها لأنفسهم و آخرين سيدخلون مع العائدين إلى البلد فى أشكالهم و أزيائهم و هم لا يكونون إلا مفسدين و هدامين تتعسر على الناس معرفتهم ، و هم لا يشكلون إلا معاول هدم و تخريب ، و فساد ، و لامراء فى أن العيش تحت دخان أسود مكثف و فى جو لا يخلو من المفسدين و الأعداء ممن يخشى منهم الهدم و العنت ، مهدد بالخوف و الذعر ، و لا يدرى الأمد الذى تستغرقه عملية البناء و التصليح و الغربلة و التمشيط إلا الله ، و ما لم يتم ذلك سيعيش أبناء البلد فى انتظار مرهق و مرارة لا يعلم مداها أحد .

متى ستعود الكويت إلى حالة من الاستقرار و الأمن ، و متى سيتم عمل التجديد و البناء ، و متى ستصلح لعودة أبنائها المشردين ، مشكلة لا يمكن أن يحدد موعد حلها ، وكلما طالت الفترة و امتدت المدة عليها سببت من التوتر العصبى ، والشرود الفكرى ، و العقود النفسية ، و خاصة لدى الأطفال و النساء ، ما يوسع الفجوة بين إمكانية الأمن و الحالة الطبيعية ، و قد يؤثر ذلك على الأجيال القادمة و البنية الاجتماعية فى المنطقة كلها ، و هى أعقد مشكلة لمخلفات الحرب الخليجية ، و من أجلها تنقلب المقاييس ، و تتبدل الموازين و النظرات

الخلقية و الاجتماعية ، و قد تنشأ هناك عواطف مضادة للقيم و الأعراف التى عرفها المسلمون و عايشوها ، و ستكون هذه الخسارة أعمق و أفدح من الخسائر المادية و النفسية .

أما الخسارة العظمة التى واجهها العمل الاسلامى بكافة أنواعه ، و الجهاد الاسلامى فى أفغانستان وغيرها ، فهى الهدف الأصيل الذى استهدفه صدام حسين و الدول المعادية للاسلام ، إذ أن حجم المساعدات المالية و الخلقية يبلغ من الضخامة ما لا يقاس بسهولة ، فان المؤسسات الاسلامية فى العالم كله بأى شكل كانت ، قامت بدور بارز كبير من أجل الدعم العظيم الذى كانت تبذل الكويت بسخاء ، شعبا وحكومة ، ومن يدرى أن كويت المستقبل تستطيع أن تواصل مسيرة الدعم الاسلامى على غرارها السابق ، بنفس تلك الروح و الاخلاص ، خاصة و إن الغزو الصدامى استهدف هدم هذه المسيرة و تمزيق الصف الاسلامى إلى أكبر حد ، و إن إستبدال النظام السياسى السابق هناك بنظام سياسى آخر قد يسبب بعض المتاعب والقصور فى جوانب الحياة الاجتماعية والفردية ، و يحدث فى النفوس شعوراً بالمحدودية فى دوائر اصطناعية خاصة ، و يزهدها فى رغبة الاتساع فى الآفاق .

إن شيئاً من هذا أو ذاك إنما يزيد فى قائمة الجرائم السوداء التى ارتكبها صدام حسين فى الكويت ، عدا إجراماته الكبيرة و الكثيرة فى تمزيق الشمل و تفريق الأمة و إبعادها عن درب الاسلام و العقيدة « وما يوم حليمة بسر » « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب يتقلبون » .

قد سجل التاريخ كل ذلك ، ولا تكاد تنساه الأجيال ، بل وتلعن الأعداء الذين تربصوا بها الدوائر بهذا الشكل الفظيع .

(و الله غالب على أمره و لكن أكثر الناس لا يعلمون) .

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

أسماء الله الحسنى وصفاته الذاتية والفعلية

بقلم : معالى الدكتور راشد عبد الله الفرحان
الكويت

٢٦— و أسماء الله الحسنى كلها هى التى ننادى بها ربنا ، و بها نذكره و نعبده و نسأله ، قال تعالى « و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها » سورة الأعراف الآية ١٨٠ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة » رواه البخارى و مسلم و الترمذى و ابن ماجة ، و عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن لله تسعة و تسعين اسما ، — مائة إلا واحداً — لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة ، و هو وتر يحب الوتر » رواه البخارى .

و إليك هذه الأسماء ، ونذكر أمام كل اسم معناه :

العدد	الاسم	المعنى	السورة	رقم الآية
١—	الله	لفظ الجلالة علم على الذات الالهية المقدسة	الحشر	٢٢
٢—	الرحمن	المنعم بجلائل النعم	«	٢٢
٣—	الرحيم	المنعم بدقائقها	«	٢٢
٤—	الملك	المتصرف فى ملكه كيفما شاء	«	٢٣
٥—	القدوس	المطهر من العيوب و النقائص	«	٢٣
٦—	السلام	الأمان لخلقه	«	٢٣
٧—	المؤمن	المؤمن لخلقه من العذاب و المصدق وعده لهم	«	٢٣
٨—	المهيمن	و معناه المسيطر	«	٢٣

٩—	العزيز	و معناه الغالب	الحشر	٢٣
١٠—	الجبار	المنفذ لأوامره و المصلح لشئون عباده	«	٢٣
١١—	المتكبر	المنفرد بصفات العظمة	«	٢٣
١٢—	الخالق	الموجد للمخلوقات	«	٢٤
١٣—	البارئ	الخالق لما فيه الروح والموجد لما له أصل	«	٢٤
١٤—	المصور	المعطى لكل شىء صورة تميزه عن غيره	«	٢٤
١٥—	الغفار	كثير المغفرة و ستر الذنوب	الزمر	٥
١٦—	القهار	القابض على كل شىء والقاهر لكل شىء	يوسف	٣٩
١٧—	الوهاب	كثير النعم دائم العطايا و المنن	آل عمران	٨
١٨—	الرزاق	خالق الأرزاق و خالق أسبابها	الذاريات	٥٨
١٩—	الفتاح	الذى يفتح خزائن رحمته لعباده	سبأ	٢٦
٢٠—	العليم	العالم بكل شىء فلا يعزب عنه مثقال ذرة	البقرة	٣٢
٢١—	القابض	قابض الأرواح أومضيق الرزق على من يشاء من عباده	«	٢٤٥
٢٢—	الباسط	موسع الرزق على من يشاء	«	٢٤٥
٢٣—	الخافض	الذى يخفض من يستحق الخفض بالخزى و الذل و العذاب ،	الواقعة	٣
٢٤—	الرافع	الذى يرفع من يستحق الرفعة من المتقين ،	آل عمران	٥٥
٢٥—	المعز	يعز من استمسك بدينه و يعطيه النصرة والغلبة	«	٢٦
٢٦—	المذل	الذى يذل أعداءه	«	٢٦
٢٧—	السميع	المدرك لكل ما يسمع	البقرة	١٢٧
٢٨—	البصير	المدرك لكل ما يبصر	الشورى	١١
٢٩—	الحكم	الحاكم الذى لاراد لقضائه ولا معقب لحكمه ،	الأنعام	١١٤

٣٠—	العدل العادل الكامل فى عدالته	النحل	٧٦
٣١—	اللطيف الذى لطف (دق) علمه بما فى القلوب	الأنعام	١٠٣
٣٢—	الخبير العالم بخفايا الأمور ودقائقها	»	١٠٣
٣٣—	الحليم الذى لا يستفزه غضب و لا يتعجل العقوبة	الاسراء	٤٤
٣٤—	العظيم البالغ أقصى مراتب العظمة	البقرة	١٠٥
٣٥—	الغفور كثير الغفران	يونس	١٠٧
٣٦—	الشكور الذى يعطى الكثير على العمل القليل	فاطر	٣٠
٣٧—	العلى الذى بلغ أعلى مراتب العظمة التى لا يتصورها عقل و لا يدركها الفهم	البقرة	٢٥٥
٣٨—	الكبير الذى لا تستطيع الحواس ولا العقول إدراكه	الحج	٦٢
٣٩—	الحفيظ الذى يحفظ الكون من الخلل والاضطراب و يحفظ أعمال العباد فلا يضيع منها شىء	هود	٥٧
٤٠—	المقيت خالق الغذاء الروحى و المادى	النساء	٨٥
٤١—	الحسيب الذى يكفى عباده ، أو الذى يحاسبهم يوم القيامة	النساء	٦
٤٢—	الجليل الذى له صفات الجلال	الرحمن	٢٧
٤٣—	الكريم المعطى من غير سؤال و لا عوض	الانفطار	٦
٤٤—	الرقيب الذى يراقب الأشياء ويلاحظها	النساء	١
٤٥—	المجيب الذى يستجيب لمن دعاه	هود	٦١
٤٦—	الواسع الذى وسع علمه و رحمته كل شىء	النساء	١٣٠
٤٧—	الحكيم صاحب الحكمة	»	١٣٠
٣٨—	الودود المحب الخير لخلقه و المحسن إليهم فى كل الأحوال	البروج	١٤

٤٩—	المجيد البالغ النهاية فى المحبة والشرف والعظمة	هود	٧٣
٥٠—	الباعث باعث الرسل والهمم ومن فى القبور	الحج	٧
٥١—	الشهيد العالم بكل مخلوق	الأنعام	١٩
٥٢—	الحق الثابت الذى لا يتغير	البقرة	١٤٩
٥٣—	الوكيل القائم بأمور عباده وبسائر مايحتاجون إليه	آل عمران	١٧٣
٥٤—	القوى صاحب القدرة التامة	هود	٦٦
٥٥—	المتين الذى بلغ النهاية فى الشدة	الذاريات	٥٨
٥٦—	الولى المتولى أمر خلقه	البقرة	١٠٧
٥٧—	الحميد المحمود المستحق للثناء	»	٢٦٧
٥٨—	المحصى الذى لا يغيب عن علمه شىء	الجن	٢٨
٥٩—	المبدىء المظهر للأشياء من العدم	العنكبوت	١٩
٦٠—	المعيد الذى يعيدها بعد عدمها	»	١٩
٦١—	المحيى خالق الحياة فى كل حى	البقرة	٢٥٨
٦٢—	المميت سالب الحياة	»	٢٥٨
٦٣—	الحى صاحب الحياة الدائمة	آل عمران	٢
٦٤—	القيوم القائم بنفسه و المقيم لغيره	»	٢
٦٥—	الواجد الذى يجد كل ما أراده فلا يحتاج لغيره لغناه المطلق	الحجر	٢١
٦٦—	الماجد البالغ النهاية فى المجد و العظمة	هود	٧٣
٦٧—	الواحد الأحد ، القادر و المقتدر	الاخلاص	١
٦٨—	الصمد الذى يقصد فى الحوائج	»	٢
٦٩—	المقدم الذى بيده تقديم كل شىء حسا ومعنى	ص	٦١

٧٠—	المؤخر الذى بيده تأخير كل شىء حساً ومعنى	هود	١٠٤
٧١—	الأول الذى لا ابتداء لوجوده	الحديد	٣
٧٢—	الآخر الذى لا انتهاء لوجوده	«	٣
٧٣—	الظاهر الذى أظهر وجوده بآياته ومخلوقاته	«	٣
٧٤—	الباطن الخفى بذاته فلا يعلمها أحد على ماهى عليه	«	٣
٧٥—	الوالى الذى تولى الأشياء و ملكها	البقرة	١٠٧
٧٦—	المتعالى المنزه عن النقائص	يونس	١٨
٧٧—	البر كثير الخير عظيم الاحسان	الطور	٢٨
٧٨—	التواب الذى يوفق العصاة للتوبة ويقبلها منهم	البقرة	٣٧
٧٩—	المنتقم المعاقب من يستحق العقوبة	السجدة	٢٢
٨٠—	العفو الماحى لسيئات من أناب إليه	الحج	٦٠
٨١—	الرؤوف عظيم الرأفة و الرحمة	البقرة	١٤٣
٨٢ ، ٨٣	مالك الملك الذى تجرى الأمور فى السماوات و الأرض طبق مشيته وإرادته	آل عمران	٢٦
٨٤ ، ٨٥	ذو الجلال و الاكرام ، صاحب الشرف و الكمال و مفيض النعم و الآلاء	الرحمن	٢٧
٨٦—	المقسط المنصف للظلومين من الظالمين	يونس	٤٧
٨٧—	الجامع الذى يجمع الناس يوم القيامة	آل عمران	٩
٨٨—	الغنى المستغنى عن كل ما عداه والمفتقر إليه كل من سواه	البقرة	٢٦٣
٨٩—	المغنى المتفضل باغناء من شاء من خلقه	النور	٣٣
٩٠—	المانع الذى يمنع أسباب الهلاك	الاسراء	٥٩

٩١—	الضار الذى ينزل عقابه بأعدائه	المجادلة	١٠
٩٢—	النافع الذى عم خيره	المائدة	١١٩
٩٣—	النور الظاهر بنفسه و المظهر لغيره	النور	٣٥
٩٤—	الهادى الذى هدى و أرشد كل شىء إلى ما فيه صلاحه	الحج	٥٤
٩٥—	البديع الذى لا نظير له	البقرة	١١٧
٩٦—	الباقى الدائم الوجود	الرحمن	٢٧
٩٧—	الوارث الباقى بعد فناء الموجودات	الحجر	٢٣
٩٨—	الرشيد المرشد لعباده والذى تجرى تصاريفه بمنتهى الحكمة و السداد	الكهف	١٧
٩٩—	الصبور الذى لا يتعجل بالعقوبة و لا يتعجل بشىء قبل أوانه	النحل	١٢٦

تنويه : بعض الأسماء الحسنى تجدها قد وردت فى أكثر من آية فى القرآن الكريم .

صفات الله جل و علا الذاتية

العدد	الصفحة	الآيـــة	رقمها	السورة
١—	يد الله	« بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء »	٦٤	المائدة
		« يد الله فوق أيديهم »	١٠	الفتح
٢—	وجه ربك	« و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الاكرام »	٢٧	الرحمن
		لا نعرف كيفيته و لكن نؤمن به		
٣—	العينان	« واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا »	٤٨	الطور
		و قوله تعالى (تجرى بأعيننا)	١٤	القمر
		وقوله (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا)	٣٧	هود

٤— الكلام « و كلم الله موسى تكليما » ١٦٤ النساء
هو الاعتقاد الجازم بأن الله متكلم ، و أنه لم يزل يتكلم إذا شاء بما شاء
كيف يشاء و أنه يتكلم بحرف و صوت بكلام يسمعه من شاء الله أن
يسمعه من خلقه ، و قد سمعه موسى عليه السلام .

٥— الرحمة (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) ٧ الغافر
(ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) ٢ الفاطر
(قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله) ٥٣ الزمر
وقوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) ٥٤ الأنعام

٦— الحكمة (له الحمد فى الأولى و الآخرة ٧٠ القصص

٧— الارادة والمشيئة (و لولا إذ دخلت جنتك قلت
ما شاء الله لا قوة إلا بالله) ٣٩ الكهف
(ولو شاء الله ماقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) ٢٥٣ البقرة
(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن
يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً) ١٢٥ الأنعام

٨— العفو و المغفرة (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون
أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) ٢٢ النور

٩— القدم (هو الأول والآخر) بمعنى أنه لا أول
لوجوده ، فوجوده تعالى ليس مسبوقاً بعدم ٣ الحديد

١٠— البقاء (كل من عليها فان و يبقى وجه ربك
ذو الجلال و الاكرام) ٢٦ ، ٢٧ الرحمن

١١— الكبرياء (و له الكبرياء فى السماوات والأرض
و هو العزيز الحكيم) ٣٧ الجاثية

١٢— العظمة (و هو العلى العظيم) ٢٥٥ البقرة

١٣— الملك (فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو
رب العرش الكريم) ١١٦ المؤمنون
(فى مقعد صدق عند مليك مقتدر) ٥٥ القمر

١٤— المعية قال الله تعالى (وهو معكم أين ما كنتم) ٤ الحديد
و قال (إن الله مع الصابرين) ١٥٣ البقرة
و قال (لا تحزن إن الله معنا) و من مقتضاها العلم و الاحاطة
و الاطلاع على جميع خلقه ، و أما معية الله للمؤمنين فمن مقتضاها
أيضاً الحفظ و العناية و النصرة و التوفيق ٤٠ التوبة
أما كيفية هذه المعية فهى كسائر الصفات لا يعلمها إلا الله

١٥— العلم (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو و يعلم ما فى
البر و البحر و ما تسقط من ورقة إلا يعلمها و لا حبة فى ظلمات
الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) ٥٩ الأنعام
(يعلم ما يلج فى الأرض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء
و ما يعرج فيها) ٤ الحديد

١٦— الحياة (و توكل على الحى الذى لا يموت) حياته سبحانه
أكمل حياة و أتمها ٥٨ الفرقان

١٧— القدرة (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير) و من أسمائه
تعالى القدير الذى لا يعجزه شيء ، ومن قدرته تعالى أنه إذا شاء
فعل من غير مانع و لا معارض . ١٢ الطلاق

١٨— السمع (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها و تشتكى
إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) ١ المجادلة

(لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) والسميع من أسمائه تعالى الذى لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفى ، ويسمع سبحانه دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ، فأحاط سمعه سبحانه بجميع المسموعات سرها وعلنها ، قريبها وبعيدها ، لا تختلط عليه الأصوات على اختلاف اللغات على تفنن الحاجات و كأنها صوت واحد . آل عمران ١٨١

١٩— البصر (وهو السميع البصير) سبحانه يشاهد ويرى كل شىء و إن خفى ظاهراً و باطناً قريباً أو بعيداً فلا تؤثر على رؤيته الحواجز و الأستار . الشورى ١١

٢٠— العزة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) أى عزة القوة وعزة الامتناع وعزة القهر . الصافات ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢

٢١— العلو (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ١٠ الفاطر
(تعرج الملائكة و الروح إليه) ٤ المعارج
(أ أمنتم من فى السماء) ١٦ الملك

٢٢— الغنى (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد) ١٥ الفاطر
(و من يتول فان الله هو الغنى الحميد) ٦ الممتحنة

٢٣— الرزق والقوة والمتانة (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) ٥٨ الذاريات

صفات الله جل جلاله الفعلية

٢٤— رضى الله (رضى الله عنهم و رضوا عنه) ١١٩ المائدة

٢٥— الحب (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) . ٤ الصف
(إن الله يحب المقسطين) . ٨ الممتحنة

(فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ١٠٨ التوبة

٢٦— النزول ، يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ، ٢٥ الفرقان
أى تشقق السماء بالغمام إيذانا بنزول الله لأن التشقق مقدمة النزول و مقدمة الشىء منه .

٢٧— الاحياء والاماته (إذقال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت) ٢٥٨ البقرة
(إنا نحيى و نميت و إلينا المصير) ٤٣ ق

٢٨— الغضب الله يغضب إذا انتهكت محارمه قال تعالى (و غضب عليه و لعنه) . ٩٣ النساء

٢٩— الكره (و لكن كره الله انبعاثهم) ٤٦ التوبة

٣٠— اللعن (و لعنه و أعدله عذاباً عظيما) ٩٣ النساء

٣١— السخط (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله) ٢٨ محمد

٣٢— المقت (شدة البغض) (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) . ٣ الصف

٣٣— الأسف (فلما آسفونا انتقمنا منهم) ٥٥ الزخرف

٣٤— المجىء و الاتيان (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام و الملائكة و قضى الأمر) ٢١٠ البقرة
(و جاء ربك و الملك صفاً صفا) ٢٢ الفجر

٣٥— الاستواء هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى فوق سماواته مستو على العرش استواء يليق بجلاله و عظمته و دليله من القرآن
(ثم استوى على العرش) ٥٤ الأعراف
و قوله (الرحمن على العرش استوى) ٥ طـه
و معنى استوى : استقر و ارتفع و صعد ، و لا يصح تفسيرها بالاستيلاء على العرش ، كما لا يصح تشبيه استواء الرحمن على العرش باستواء الخلق على مقاعدهم فى الدنيا ، لأن الكيف مجهول .

أكبر خطر على العالم العربى

بقلم : سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى

كل حركة للقومية قامت فى العالم الاسلامى ، و اتخذت فلسفة لنظامها ، و تطورت إلى عقيدة ، كانت تحدياً للاسلام ، و حاولت أن تسيطر على تلك المساحة للحياة الانسانية التى كانت خاضعة لحكم الاسلام و سيادته ، و اشتملت هذه الحركة على العقائد ، والأخلاق ، و العواطف ، ومشاعر الحب والكراهية ، والولاء ، و عدم الولاء ، ورباطة الجأش ، والحماس ، وجميع العناصر و الأجزاء التى تشتمل عليها الأديان السماوية وتعتبرها جزءاً منها ، و لأجل ذلك كانت كل حركة من هذه الحركات التى لها هذا الشأن والاحتواء ، والمضمونات ، والتأثير ، موضع حذر ، بل موضع خطر لدى المؤمنين بالدين السماوى الأخير ، و الدعاة إليه عن بصيرة وإيمان ، فبادروا إلى محاربتها ، باعتبارها منافسة لهم ، لأن نشوءها وانتشارها يحملان فى أعقابهما أخطاراً تفكك الوحدة الاسلامية ، ويتشر الالحاد و الضلال من جرائها ، وكانت مقاومتها وكبح جماحها الواجب الأول فى نظرهم .

و تستوى فى هذا الأمر حركات القومية و الوطنية التى نشأت فى تركيا ، و إيران ، و كردستان ، و أفغانستان ، وتصدى الغيارى على الدين ، والراسخون فى العلم ، و أصحاب العقيدة السليمة فى هذه البلاد كلها ، لمواجهة تلك الحركات ، و كان شعارهم تحطيم جميع هذه الأصنام العنصرية و الثقافية و إعلان « إن هذه أمتكم أمة واحدة و أنا ربكم فاعبدون » (١)

(١) سورة الأنبياء : الآية ٩٣ .

لكن القومية العربية تختلف فى طبيعتها عن جميع هذه الحركات ، لأن الأتراك و الايرانيين و الأكراد و الأفغان ، كانوا جزءاً من الملة الاسلامية ، فكان انحرافهم انحراف ملة ، أما العرب فلم يكونوا ملة فحسب ، و إنما كانوا منبع الدعوة الاسلامية ، و حملة لوائها الأولين و روادها ، و كان بلدهم منبعاً للاسلام ، و مأواه ، و ملجأه الأخير ، فكان قبولهم لدعوة القومية و انحصارهم فى القالب المحدود للقومية و العروبة ، أو احتضانهم لدعوة البعث العربى القومية ، بدلا من كونهم حملة الدعوة الاسلامية العالمية ، حادثة تاريخية ، فاذا كان انحراف الأمم الأخرى ، انحراف تلك الأمم وحدها ، كان انحراف العرب تحريفاً ، لذلك كل قلق و هم يساوران النفوس ، وكل حذر يطير النوم عن عيون المحبين للدين و العاملين له و المهتمين به ، لا يستغرب و لا يثير الدهشة و التساؤل ، بل بالعكس عدم اضطراب على هذا الحادث الأليم ، يدل على عدم الشعور بضخامته و وخامة نتائجه كما كان من حقه أن يشعر به من المعنيين بالدين ، و مستقبله .

و صدق الشاعر الأندلسى العربى :

لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان فى القلب إسلام و إيمان

لماذا لم تشعر الدوائر الدينية بأهمية هذه الحادثة ، و لماذا لم يضطرب لها أصحابها ، وهم يحملون حقاً حساسية مرهفة فى كل أمر له صلة بالدين والعقيدة ، فلا يحتملون أدنى انحراف أو عدول ، فضلا عن ضلال فى أمر الدين ، فكيف استساغوا هذا الضلال المبين ، وأغمضوا بصرهم ، بل وعلى العكس تجاوز بعضهم إلى الاعراب عن تقديرهم لزعماء هذه الانحرافات الضالة ، ونوهوا بأعمالهم ونسبوا إليهم البطولة ؟

إن هناك سببين لهذا الموقف ، أولهما عدم معرفة هؤلاء الناس ، لحقيقة الأفكار و العواطف لدعاة القومية العربية وعجزهم عن إدراكها ، لأن عدداً قليلا من العلماء و حملة الدين يتمكن من دراسة منشورات القومية العربية الموثوق بها ، و تتاح لهم فرصة السماع و القراءة للأحاديث و البيانات و التقارير الصحفية لقادة تلك الحركة و زعمائها ، و التصفح للجرائد و المجلات الصادرة من الدول العربية التى تعبر عن هذه الأفكار و الاتجاهات ، فتقتصر معرفة هذه الفئة من الناس على معلومات سطحية طافية ، و تعتمد على بيانات سياسية فى أغلب الأحوال . فاذا كان رجال هذه الفئة من الناس قاصرين فى اتخاذ آراء سديدة أو دراسة واقعية ، ولا يحدث فى أذهانهم أى تذمر ، أو اشمئزاز أو قلق (وإن كانت قلوبهم مفعمة بالغيرة الاسلامية والحمية الدينية) فلا غرابة فى ذلك ، فانهم لا يدركون مدى خطورة الدعوة للقومية العربية ، وتوغلها فى النفوس ، وتأثيرها و أبعادها ، و أهدافها و غاياتها ، و إلى أى مدى سرت فيها عدوى الالحاد واللادينية وتفاقمت ، وما هى انعكاسات هذه الدعوة على قلوب الشباب والمثقفين الذين تأثروا بها فى الشرق الأوسط ، و فتنوا بقادتها وزعمائها ، وتأثروا بأهدافهم التى يعبرون عنها و يجهزون بها « و ما تخفى صدورهم أكبر » .

و السبب الثانى : أن النظر إلى أى دولة من الدول الغربية كأمريكا وبريطانية بنظرة ازدراء ، و التحديث بلهجة التحدى لها وتهديدها و إدانتها ، أو إبداء نية المجابهة مع إسرائيل ، والاعلان ببدأ حركة لتحرير فلسطين ، وإن كان باللسان فحسب ، أو إظهار الصمود و التصدى فى البيانات ، يعد بطولة و جرأة يغتفر بها جميع السيئات و يتغاضى عن كل عمل سابق لهم ، و ذلك فى خلفية ماضى هذه الدول الأوربية و حاضرها ، و موقفها مع دول العالم الاسلامى ، و غياب أى إجراء جدى ، من قبل أى بلد إسلامى و عربى إزاء إسرائيل خلال السنوات

العديدة الماضية ، فتحمل هذه البيانات على صرف النظر عن كل عيب و زيغ للزعماء العرب القوميين ، و أعضاء حزب البعث العربى الاشتراكى الملحد ، وأى زعيم آخر من الزعماء العرب ، وحتى على الاغماض عن استغنائهم عن الاسلام ، و محاولة قطع صلة الأمة العربية و الدول العربية عن الاسلام و إعادتها إلى الجاهلية الأولى ، بتخطيط دقيق ، و عدم المبالاة بالعقائد الاسلامية و الفرائض الدينية ، و أكثر من ذلك الاستهانة بها ، و ازدراؤها ، و لا يصرف ذلك الذهن عن هذه العيوب و السيئات فحسب بل تحمل هذه البيانات على تقديس هؤلاء الزعماء و وضعهم فى مصاف الأبطال ، و المنقذين للمسلمين و العرب ، ثم لا يقع فى هذه المغالطة الذهنية عامة الناس وحدهم بل يقع فى هذه الفتنة عدد ملحوظ من الخاصة من الزعماء و القادة ، ويستعد بعضهم للتصفيق لهؤلاء الزعماء و رفع هتافات فى تأييدهم ، و الاشادة بهم و يتعرضون بالسوء و اللائمة لمن له معرفة بحقيقة الأمور و يدرك حقيقة هؤلاء الزعماء القوميين البعثيين و ماضيهم و حاضرهم و ما يضمرونه من نوايا سيئة وما يكيدون للأمة ، ومدى ارتباطهم بالمؤامرات الصليبية وما يحملونه من قطع صلة المسلمين و العرب عن الاسلام ، و ربطهم « بالجاهلية القديمة » و القومية العربية .

إن الناقدين لمثل هذه الحركات وأصحابها ينحدرون من الفئة التى كان شعارها الدائم أن النقص الدينى و التحريف فى الدين ، أهم و أخطر من الانتصارات المادية ، فاذا تحقق انتصار عظيم ، أو سعة فى الحكم بمرزأة فى الدين ، أو إلحاق ضرر به أو انتقاص منه ، كان هذا الانتصار المادى فى نظر هذه الفئة هزيمة بل أشنع من هزيمة ، وإن تاريخ فقهاء الأمة وقادة الدين من أصحاب العزيمة ، حافل بأمثلة هذه النظرة الدينية ، وإلى هذه النظرة الدينية أو التقييم الدينى يرجع فضل صيانة هذا الدين من التحريف ، و إلا كان مصيره كمصير المسيحية من المسخ

و التحريف ، و قد أمكن الاحتفاظ بهذا الدين والأمة الاسلامية بفضل الجهود المخلصة لعلماء الحق ، الذين عملوا كما أمرهم القرآن الكريم « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط » (١) .

لقد أتيحت للكاتب بفضل الله تعالى و تيسيره فرصة التعايش مع العرب — و هم معدن الاسلام و رصيده ، و حملة الدعوة الاسلامية الأولون إلى العالم و يجب أن يكونوا متحمسين للاسلام أكثر من غيرهم و يكونوا قدوة للعالم — و سنحت له الزيارات المتكررة إلى الدول العربية و الاطلاع على نشاطاتها العلمية و السياسية و مراكزها الثقافية و الدينية ، و العضوية فى بعضها ، والتعرف على رجال مختلف الطبقات ، و مناهجهم العملية واتجاهاتهم الفكرية ، و تبادل وجهات النظر معهم والتباحث فى هذه الأمور ، وسنحت له بذلك فرصة المطالعة المباشرة للخطط والمؤامرات والمواد العلمية الرامية إلى قطع الصلة بالاسلام ، و ظل هذا الموضوع شغلا شاغلا له ، وهماً يلفت نظره و يسترعى اهتمامه بصفة خاصة مدة طويلة .

إن ما يشاهد اليوم من حماس و ثورة فى المسلمين فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى و لا سيما الشباب منهم و الانفعال الشديد فيهم ، و الافتتان بقيادة الزعيم العراقى البعثى الاشتراكى صدام حسين الطائشة و تحدياته ، و تهديداته ، و التظاهر بالجراءة و الصمود ، لا يرجع إلى دراسة أو تفكير ، أو مطالعة ، و إنما هو بمثابة زوبعة فى فنجان ، أو غلى كغلى المرجل ، فشعرت بمسئوليتى بحكم معرفتى ودراستى وواجبي الدينى نظراً لهذا الهياج الذى يسود اليوم ، أن أقدم هذا الرأى فى ضوء المقالات والبحوث ، والمطالعة التاريخية التى تشتمل على استعراض البواعث و الدواعى لهذه الحركات ، و خلفياتها ، و ما يخشى من نتائجها (إذا تحققت لا قدر الله) .

(١) سورة المائدة : الآية ٨ .

« إلى من أنار الله بصيرته »

بقلم : د . محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الاسلامية » ، الرياض

الأنوار فى حياة الناس كثيرة ، منها المحسوس الظاهر ، و منها المعقول الباطن ، فالظاهر ما يستضئ به الناس ، و يرسم لهم المعالم ، و لذا سمى القمر و الشمس : النيرين ، لما فيهما من جلاء لظلام الليل ، لكن النور الأهم فى حياة الانسان ، هو ما يجلو عن القلب ظلام الجهل ، و يقشع عن النفس غشاوة الانحراف عن الحق ، و هو النور المدرك عمق أثره إحساساً باطنياً ، و شعوراً وجدانياً ، و سعادة غامرة .

إن نور الله هو الذى تتفتح به البصيرة ، و تنجلى به غياهب الضلالات لأنه نور فى القلب ، و انجلاء فى البصيرة ، فهو نور الحق و اليقين ، الذى أراده الله دربآ ممهداً لأهل الخير ، و صراطاً مستقيماً يباعد عن الغواية ، ومنهج عمل ينفر من الشر ، فالله يقول و قوله الحق : « و من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » ، فالايمان نور لأنه يبدد ظلمة الكفر ، و اليقين نور لأنه يزيل ظلمة التشكيك ، والطاعة لله نور ، لما فيها من مباعدة لظلمات المعاصى ، والاستجابة لشرع الله نور ، لأثرها فى انفتاح النفس على الخير ، و مباعدتها من الشر .

فبالنور الذى ربطه الله جل وعلا فى الكتاب الكريم ، و بآيات كريمات مع دلالة الفهم العميق للدين الحق الذى أراده الله لسعادة البشرية ، و جاءت به رسل الله إلى البشرية ، ليعرفوا به وظيفتهم فى الحياة فيسترشدوا بالكتب المنزلة ، ، و يتعمقوا بادراك ماهية ذلك النور و ما يوجه إليه ، بهذا تنقاد النفوس إلى بر الأمان ، و يخرجها الله من الظلمات المتراكم بعضها فوق بعض ، إلى الطريق السوى ، و المنهج الواضح .

إن من سعادة الله للانسان ، أن يهبه خالقه نوراً يستضئ به ، و هداية يعرف بها الحق حتى ينقاد إليه ، وما أحوج البشرية إلى من يحمل مشعل الهداية ، ليضئ بما أعطاه الله من علم و ما تشبعت به نفسه من يقين ، للآخرين دروب الخير ، و مداخل العقيدة ، و لينتشل الناس من وهدة الغفلة و الغواية ، إلى مسالك اليقظة و الهداية ، حيث يبرز جلياً أثر نور البصيرة وعمق نور الايمان .. إذ بضدها تتميز الأشياء . .

و ما أكثر - بحمد الله - فى هذا الزمان من ينير الله بصيرته ، و يمن الله عليه باستبدال عقيدته السابقة بعقيدة الاسلام ، لما يجد فى تعاليمه من روحانية ، و ما يلمس فى مجتمعه الصافى ، من صدق المحبة ، و نبل الوفاء .

فكان الداخلون فى حظيرته فى كل مكان من المعمورة ، يتزايد عددهم يوماً بعد يوم عن رغبة و محبة و بدافع شخصى ، و عامل وجدانى . . بعكس ما يقصد إليه أعداء الاسلام من تشويه و تنفير ، لتسمية هؤلاء بالمسلمين مصلحياً . . ذلك أنهم لم يلزموا بالدخول فيه كرهاً ، و لم يقيدوا فى أنحاء المعمورة بشروط و تعهدات تضطرهم للجاملة من أجل المعتقد . . إذ مبدأ الاسلام يقوم على : « لا إكراه فى الدين » . .

و إذا كان هؤلاء الذين أنار الله قلوبهم بالاسلام ، قد اعترضتهم مشكلات عديدة فى الأهل والقرابة و المجتمع ، فان مجابهة ذلك الأمر يكمن فى طريقين متوازيين :

— طريق الثبات و التحمل . . و طريق الأخوة و المناصحة .

و فى طريق الثبات و التحمل ، نوجه إليهم القول بادراك المهمة الكبيرة التى اختارهم الله لها ، و ذلك بمحاربة أعداء الانسان الثلاثة المحيطة بهم من كل جانب : النفس والهوى والشيطان . . و لكل من هذه الأعداء نزعات وخطرات

و الانسان المسلم بصفة عامة ، و المسلم الجديد بصفة خاصة ، تتكالب عليه المداخل و المؤثرات من هذه الجوانب الخفية فى مسارها و تحريكها . . فالنفس أمارة بالسوء ، إلا ما رحم الله ، و لقد ابتلى بخطراتها أنبياء الله ، مع مكانتهم و فضلهم ، و المسلم الجديد أحوج ما يكون إلى من يعينه فى مجاهدة النفس ، و تحريضه على الثبات ، وتذكيره بنعم الله ، التى أنقذته من الكفر إلى الايمان ، مما يستوجب شكراً ، و يدعو إلى مجاهدة النفس ، و إبعاد وساوسها . . و إن من الثبات الحرص على التزود معرفة ، و التطبيق عملا ، حتى يكون المرء فى يومه خيراً من أمسه و فى إقدامه أرغب و أشجع من إحجامه .

و فى سيرة الصحابة رضوان الله عليهم ، و ثباتهم على دينهم ، رغم ما اعترضهم من أذى ، وما جوبهوا به من تحديات ، خير تسلية للنفوس ، وتوعية للقلوب ، لأن القرآن الكريم هذب طباعهم ، و قوى عوامل الخير ، و دعائم الثبات فى أعماقهم ، فى مثل هذا التوجيه الكريم : « لتبلون فى أموالكم و أنفسكم و لتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم و من الذين أشركوا أذى كثيراً ، و إن تصبروا و تتقوا فان ذلك من عزم الأمور » (سورة آل عمران ١٨٦) إن منهج الاسلام فى تزكية النفوس ، إيجاد عقبات يمتحن الله بها قوة الثبات ، و صدق التحمل ، فيبتلى الانسان بسبب عقيدته فى أعز ما يملك و هو المال ، ويمتحن فى نفسه بمؤثرات عديدة ، و تسلط عليه السهام المشرعة بالأذى والمتاعب من كل جانب ظاهرياً من المعادين لعقيدته التى رضيها منهجاً يوصل إلى رضا الله و رحمته ، و باطنياً بعوامل نفسية ، و مغريات شهوانية ، و حبائل شيطانية ، و سلاح ذلك ما أبانه الله بالصبر ، والتقوى ، و تسليم الأمور لله ، والاستعانة به سبحانه على مكافحة هذه الأمور .

إنها رسالة مفتوحة يجب أن يوجهها كل مسلم نحو نفسه أولا ، و لاخوانه

الذين دخلوا الاسلام مجدداً و جابهتهم أخطار و تحديات ، إذ عليهم أن يدركوا نماذج من الأخطار التى أحدقت بالمجتمع الاسلامى فى المدنية ، و ما ينتظرهم من أذى و بلاء ، و مصائب و امتحان : فى الأنفس و فى الأموال ، بالقول لمزاً و تنقيصاً ، و بالعمل من أجل الاضرار بهم كيداً و معاندة .

و إن المسلم لا يعرف حقيقة نفسه ، و ما فيهـا من خبايا ، إلا يعرض أعمالها محاسبة و متابعـة على المحك الايمانى ، و أثر الشهوات و الأهواء فيها ، و قدرتها على مجابهـة الأخطار ، و مغالبـة الهوى ، و الوقوف أمام المغريات و الشيطان و حبائله . .

و لكى يتأصل الايمان فى النفس ، فانه يجب شد جذوره بأوتاد راسخة ، و أعمدة متينة من الصدق و الاخلاص ، و العزيمة و الثبات . . ذلك أن وسائل الابتلاء و الفتنة تختلف باختلاف الأزمنة و الأمكنة ، و باختلاف قوة الايمان ، و العوامل المحيطة ، كما تختلف أيضاً باختلاف الوسائل الموجهـة ، و القوة المحيطة بالمرء .

كما أن المرء الموجـه إليه ذلك الابتلاء يختلف مع غيره و ما يتسلح به أو يعان به على مجابهة الخطر المحدق به و قدرته على المقاومة . . مما يدعو الفئة المؤمنة لعدم تركه فى الميدان وحده يصارع المشكلات ، و يجابه السباحة فى بحرها المتلاطم ، بقدرة لا تتلاءم مع ما يحيط به من مخاطر ، إذ لا بد من إعانتـه و الأخذ بمنكبيه حتى يتجاوز حجزات الضرر ، و هذا من الأخوة الايمانيـة ، و التعاون على البر و التقوى .

يقول سيد قطب فى الظلال عند ما مر بالآية السابقة : يبقى هذا التوجيه القرآنى رصيداً للجماعة المسلمة ، فلما همت أن تتحرك بهذه العقيدة ، وأن تحاول تحقيق منهج الله فى الأرض ، فتجمعت وسائل الكيد و الفتنة عليها ، و وسائل

الدعاية الحديثة لتشويه أهدافها ، و تمزيق أوصالها ، يبقى هـذا التوجيه القرآنى حاضراً يجلو لأبصارها طبيعة هذه الدعوة ، و طبيعة طريقها ، و طبيعة أعدائها الراصدين لها فى الطريق ، و يثبت فى قلبها الطمأنينة لكل ما تلقاه من وعد الله ذاك ، فتعرف حين تتناوشها الذئاب بالأذى ، و حين يقوى حولها بالدعاية ، وحين يصيبها الابتلاء والفتنة ، إنها سائرة فى الطريق ، و إنها نرى معالم الطريق .

و من ثم تستبشر بالابتلاء و الأذى و الفتنة ، و الادعاء الباطل عليها ، و إسماعها ما يكره و ما يؤذى ، تستبشر بكل هذا ، لأنها تستيقن منه أنها ماضية فى الطريق التى وصفها الله لها من قبل ، و تستيقن أن الصبر و التقوى هما زاد الطريق ، ويبطل عندها الكيد و البلبلة ، و يصغر عندها الابتلاء ، و الأذى ، و تمضى فى طريقها الموعود ، إلى الأمل المنشود ، فى صبر و فى تقوى ، و فى عزم أكبر [٤ : ١٧٠] .

أما طريق الأخوة و المناصحة ، فذلك ما يجب أن يجدوه عوضاً عن الأهل وصلة القرابة ، تلك الرابطة التى انفصمت باختلاف الدين ، فكان فى منهج أخوة الاسلام بديلا ، وفى قرابة العقيدة الايمانية والمحبة اليقينية ما يشبع نهم النفوس ، ويسد خللا فى العلاقات . . و يزيل وحشة قد تبرز من تغير المجتمع . .

فالمسلم الجديد الذى أنار الله بصيرته لدين الاسلام و رضيه عقيدة ومنهجاً ، يجب على إخوانه المسلمين أن يعوضوه عما فقد بأخوة صادقة ، و يناصحوه بما يرشدهم دينهم إليه من تقوية العزيمة وتثبيت الأقدام ، و رغبة فى العلم و الفهم ، فيكونون له القلب الحانى ، و المشورة الناصحة ، و الصدق فى التوجه . .

إن رسائل وصلتنى من بعض الداخلين فى دين الله مجدداً ، تنبئ عما جابههم من مشكلات تتمثل فى ضيق ذات اليد ، وتسلط القوى ، وظلم القادر . . بل إن واحداً ممن شاركته همومه : سلب المال ، و بوعد بينه وبين الأهل و الولد ،

فأصبح طريداً فى الشوارع يبحث عن ظل يستكن به ، وقلب يأنس إليه ، و إن المسلم الجديد فى بلاد الغرب أحسن حالا من المسلم الجديد من العرب ، و بين ظهرانى المسلمين ، ذلك أن الجمعيات الاسلامية فى ديار الغرب لديها من التكاتف و الاهتمام ، و الرعاية و التوجيه ، ما يزيل عن المسلم الجديد وحشة الانفصام الأسرى ، بوجود من يرعاه ، و يهتم بما يؤرقه . . فيقف معه فى كل منعرج تتوقف قدماه ليجد السند العملى ، و الرعاية و التوجيه . .

و إنها لأمانة ثقيلة ، يجب أن يدرك كنهها كل مسلم نحو أخيه ، ممن أنار الله قلبه : سواء كان ضالا فهداه الله ، أو منصرفاً فأعاده الله ، أو عاصياً فمن الله عليه بالتوبة . . و كل هؤلاء و غيرهم ممن أنار الله قلبه ، و فتح على بصيرته ، له على إخوانه - كل بحسبه - حق فى أمانة فى التوجيه ، و ثقة فى الرعاية ، فالنصح لعامة المسلمين جزء من الرسالة المطلوبة ، و التوجيه و الارشاد مرتبة من الاحساس الواجب الاهتمام بها .

حوار فى العقيدة :

ذكر صاحب محاضرة الأبرار : فى عهد بنى أميه ، أسر الروم ثلاثين من المسلمين ، و أدخلوا على قائدهم ، و كان فيهم شيخ من أهل دمشق يقال له واصل ، وطلبوه للحاورة و لكنه أبى ، إلا بعد فك قيده و إعطائه الأمان ، و لما أمنوه ، وفكوا قيوده ، بدأوا يحاورونه و يفحمهم بالجواب ، حتى بلغ أمره الملك ، فقال : ما الذى بلغنى عنك من تنقيصك لدينى ، و وقيعتك فيه ؟ قال الشيخ : إن لى ديناً كنت ساكتاً عنه ، فلما سئلت عنه ، لم أجد بداً من الذب عنه ، قال الملك : و هل فى يدك حجة ؟ . قال : ادع لى من شئت حتى يحاورنى، فان كان الحق فى يدى فلم تلومنى على الذب عن الحق ، وإن كان الحق فى يده ، رجعت إلى الحق، فدعا الملك بعظيم النصرانية، فلما دخل عظموه ، فقال

الشيخ : من هذا ؟ . قال : رأس النصرانية الذى تأخذ عنه دينها . قال الشيخ : فهل له من امرأة ؟ أم هل له من ولد ؟ أم هل له من عقب ؟ قال الملك : هذا أزكى و أطهر من أن يدنس بالنساء ، هذا أزكى و أطهر من أن ينسب إليه الولد ، و يدنس بالحيض ، هذا أزكى و أطهر من هذا كله ، قال الشيخ فأنتم تكرهون الآدمى يكون منه ما يكون من بنى آدم من الغائط و البول و النوم و السهر ، و تأخذكم غيرة من ذكر نسبة النساء إليه ، و تزعمون أن رب العالمين مكن ظلمة البطن ، وضيق الرحم ، و دنس بالحيض ، قال القس : هذا شيطان من شياطين البحر ، رمى به البحر إليكم فأخرجوه من حيث جاء .

فأقبل الشيخ على القس و قال : عبدتم عيسى بن مريم لأنه لا أب له ، فضموا آدم مع عيسى حتى يكون لكم إلاهان اثنان ، وإن كنتم عبدتموه لأنه أحيى الموتى، فهذا حزقيل مر بميت تجدونه فى الانجيل لا تنكرونه ، فدعا الله عزوجل فأحياه له حتى كلمه، فضموا حزقيل مع عيسى وآدم حتى يكون لكم ثلاثة ، و إن كنتم إنما عبدتموه لأنه أراكم المعجزات، فهذا يوشع بن نون قاتل قومه حتى غربت الشمس ، فقال لها : ارجعى باذن الله ، فرجعت اثنى عشر برجاً ، فضموا يوشع أيضاً إلى عيسى رابع أربعة ، و إن كنتم إنما عبدتموه لأنه عرج إلى السماء ، فمن ملائكة الله عز وجل ، مع كل نفس اثنان بالليل ، و اثنان بالنهار ، يعرجون إلى السماء ، ما لو ذهبنا نعبدهم لالتبس علينا عقولنا ، و اختلط علينا ديننا ، ثم قال : أيها القس : أخبرنى عن رجل يحل به الموت ، الموت أهون عليه أم القتل ؟ . قال القس : بل القتل ، قال : فلم لم يقتل عيسى بن مريم أمه ، بل عذبها بنزع الروح ؟ . إن قلت إنه قتلها فما بر أمه فى قتلها ، و إن قلت إنه لم يقتلها فما بر أمه فى تعذيبها بنزع النفس ، فقال القس : إذهبوا به إلى الكنيسة العظمى ، فانه لا يدخلها أحد إلا تنصر ، قال الشيخ : لماذا يذهب بى إلى

الكنيسة ، و لا حجة على دحضت حجتى ؟ . قال الملك ، لا يضرك شيئاً إنما هو بيت من بيوت الله تعالى ، تذكر فيه ربك ، قال الشيخ : أما إذا كان هكذا فلا بأس .

فذهبوا به إلى الكنيسة ، فلما دخلها وضع أصبعيه فى أذنيه ، ورفع صوته بالأذان ، فجزعوا لذلك جزعاً شديداً ، وصرفوا لذلك و كتفوه ، و جاؤا به إلى الملك و قالوا له : أيها الملك لقد أحل بنفسه القتل ، قال الشيخ : أيها الملك أين ذهبوا بى ؟ . قال : ذهبوا بك موضعاً تذكر الله فيه ، قال : فقد دخلته و ذكرت الله فيه بلسانى، وعظمته بقلبى ، فان كان كلما ذكر الله فى كنائسكم صغر إليكم دينكم ، فزادكم الله صغاراً ، قال الملك : صدق ، ومالكم عليه سبيل ، قالوا : أيها الملك لا نرضى حتى نقتله . قال الشيخ : إنكم متى قتلتمونى فبلغ ذلك ملكنا وضع يده فى قتل القسيسين و الأساقف ، و يخرب الكنائس ، وكسر الصلبان ، ومنع النواقيس ، قالوا : و إنه ليفعل ؟ . قال : فلا تشكوا فى ذلك ؟ قال : فتفكروا فى ذلك و تركوه ، قال الشيخ : أيها الملك : بم علا أهل الكتاب على أهل الأوثان ؟ قال : لأنهم عبدوا ما عملوا بأيديهم ، قال : فهذا أنتم عبدتم ما عملتم بأيديكم ، هذه الأصنام التى فى كنائسكم ، فان كان فى الانجيل فلا كلام لنا فيه ، و إن لم يكن فى الانجيل ، فما أشبه دينكم بدين الأوثان ، قال : صدق هل تجدونه فى الانجيل ؟ . قال القس : لا . قال : فلم تشبهوا دينى بدين أهل الأوثان ؟ . قال : فأمرهم بتبييض الكنائس ، فجعلوا يبيضونها و يبكون . قال القس : هذا شيطان من شياطين العرب ، رمى به البحر إليكم ، فأخرجوه من حيث جاء ولا يقطر من دمه قطرة فى بلادكم فيفسد عليكم دينكم ، فوكلوا به رجالا فأخرجوه من حيث جاء من بلاد دمشق ، و وضع الملك يده فى قتل القسيسين و البطارقة و الأساقفة حتى هربوا إلى الشام ، لما لم يجد واحداً يحاجه .

مصالح الناس و مراتبها فى الشريعة الاسلامية

—(٦)—

بقلم : فضيلة الأستاذ خالد سيف الله الرحمانى
تعريب : الأخ محمد فهيم أختر الندوى

المصالح المعتبرة فى الشرع :

ما هى المصالح المعتبرة فى الشرع ؟ رسم الفقهاء دائرتها فى ضوء أصول الشرع و مزاجه العام ، و من هنا تتميز المصلحة عن الهوى ، ذلك لأن الأمر لو كان مفوضا إلى رأى كل إنسان فى تعيين المصلحة ، لأصبحت الشريعة ألعوبة يلعب بها كل من شاء ، و يجعل كل ما تميل إليه نفسه مصلحة ، و تدخل كل مفسدة فى زمرة المصالح .

و المصالح المعتبرة المقررة لدى الفقهاء خمسة ، و حولها يدور نظام الاسلام القانونى كله ، و إليها يرجع كل من الأصول و الفروع الفقهية ، قال الامام الغزالى :

« إن جلب المنفعة و دفع المضرة مقاصد الحق ، و صلاح الخلق فى تحصيل مقاصدهم ، لكنا نعنى بالمصلحة المحافظة على مقصود الشارع ، و مقصود الشرع من الخلق خمسة ، و هو أن يحفظ عليهم دينهم و أنفسهم و عقلهم و نسلهم و مالهم ، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة ، فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة و دفعها مصلحة » .

نذكر فيما يأتى تلك المصالح الخمس بشئ من الاطناب متوخين الايجاز .

١— الدين :

شرعت لحفظ الدين الصلاة و الصيام و الحج و الزكاة و الجهاد و وجوب

الأمر بالمعروف، كذلك القوانين التى يقصد بها تنظيم علاقة الناس بربهم و علاقة بعضهم ببعض .

و من هذه المصلحة كل ما حرم من الزنا و الكذب و الشرك و البدعة، حتى يصح القول بأن الزواج و المبادلات و العقوبات و العقائد و العبادات يقصد منها بواسطة حفظ الدين .

و منها إيجاد جميع الوسائل و الآلات اللازمة لصيانة البلاد الاسلامية و إقامة الجهاد ضد الأعداء .

و منها نصب نظام القضاء فى مثل بلاد الهند، فان من المعلوم أن قضاء قاض غير مسلم لا ينفذ على المسلمين، فلزم إذن تعيين قاض مسلم بتراضى المسلمين ليقضى بينهم فى شؤنهم، ولو لم تكن لديه قوة تنفيذ الحكم فيهم .

٢— النفس :

هذه المصلحة تشمل جزئين :

أولهما : ما شرع لحفظ الحياة كقانون القصاص و الوعيد على الانتحار و العقوبة على قطع أعضاء بدنه أو بدن غيره بلا حاجة ، و جواز التداوى بالأشياء المحرمة عند الضرورة، و الأكل من الحرام عند المخمصة، وكسب الحلال جوازاً فى حين و وجوباً فى حين آخر، و التلفظ بكلمة الكفر عند الضرورة .

ثانيتهما : ما شرع لحفظ العرض، ولهذا شدد الاسلام فى المنع عن اتهام الغير كذباً أو شكاً ، و بالغ فى الذم عليه ، و ذم الغيبة و سوء الظن و إهانة الغير والسب والاستهزاء و ذكر العيوب الذاتية و غير ذلك من سيئات الأخلاق .

و قد أدخل أبو زهرة فى هذا القسم من المصالح الحرية الشخصية وحرية الرأى ، و من هذه المصلحة استخدام تلك الوسائل التى ظهرت اليوم لتحقيق القضايا فى المحكمة .

٣— العقل : حرمت الشريعة للمحافظة على العقل كل ما يسكر و يختل به عقل الانسان و حواسه ، و اعتبر الاسلام كل عمل يفقد به الانسان عقله و حواسه جريمة مستوجبة للعقوبة، فاذا ضرب رجل بحيث يذهب عقله توجب الشريعة على الضارب دية كاملة مثل قتل النفس ، و حرية المشورة و النقد فى الحدود الشرعية تدخل فى هذا القسم من المصالح إلى حد كبير .

٤— النسل :

هذا باب متسع ، يشمل عدة جوانب

الجانب الأول منها ما شرع له النكاح و إبقاء التوالد و التناسل، و جواز تعدد الزوجات ، و كراهية الطلاق و التدابير المشروعة للتخاشى من الطلاق، ولا شك أن الاسلام نوه بكثرة الأولاد و ذم تحديد النسل و أنكر ذلك .

و الجانب الثانى منها ما شرع من اجتناب اختلاط الماء لتكون خصائص الأسرة متمايزة ، و نسب كل إنسان محفوظاً ، و لتحقيق هذا الغرض شرع الاسلام أحكام العدة و استبراء الرحم ، و منع من الزنا و دواعيه و فرض الحجاب ومنع من كل شئ يتسبب للزنا .

و الجانب الثالث منها ما شرع لرعاية الأطفال و الأولاد، كان الناس قبل الاسلام يئدون الأولاد و يحرمون البنات من الارث ، و الاسلام أخبر أن الأولاد أمانة بأيدى الآباء، وفرض تعليم الأولاد و كفالة معايشهم على الأبوين .

٥— المال : حرم الاسلام لحفظ هذه المصلحة السرقة وقطع الطريق والغصب و غير ذلك، و أوجب على ذلك عقوبات شديدة، و حرم الربا و كل معاملة فيها هضم حقوق بعض الناس ، و منع من الاحتكار و من كل ما يتسبب لغلاء الأسعار، و أجاز للحكومة أن يسعر للناس إذا مست الحاجة إلى ذلك، و فرض فى

أموال التجارة ربع العشر وفى الزراعة العشر لصالح الفقراء و الضعفاء و المساكين ، و كذلك فرض صدقات عديدة غيرها ، و كفارات مالية على بعض المعاصى لتنفق فى ضرورات الذين هم فى أدنى حالة من الاقتصاد، وحث المسلمين على الصدقات النافلة و الانفاق فى وجوه الخير .

مراتب المصالح المختلفة

تنقسم الأحكام الشرعية إلى ثلاث مراتب من حيث أهميتها و لزومها و إفاديتها ، و الفقيه المجتهد المطلع على روح التشريع الاسلامى يراعى هذه المراتب فى الأحكام .

المرتبة الأولى : الضرورة .

هذه أهم المراتب الثلاث ، وقد بين الفقهاء معناها أنها لا بد فى قيام مصالح الدين و الدنيا بحيث إذا نفدت لم تجر مصالح الدنيا على صلاح بل على فساد و تهارج و فوت حياة ، وفى الأخرى فوت النجاة و النعيم و الرجوع بالخسران المبين . كالأركان الأربعة فى العبادات من الصلاة و الصيام و الزكاة و الحج ، و تحريم الزنا و جواز النكاح فى باب حفظ النسل ، و تحريم شرب الخمر لحفظ العقل و إيجاب الحدود على الشارب ، و تحريم قتل النفس ، و قانون القصاص و حرمة النفس الانسانية فى باب حفظ النفس .

و إذا تأملنا وجدنا أن مثل هذه الأمور لا بد منها فى جلب منافع الناس و دفع مضراتهم فى جوانب حياتهم المختلفة . و الأمور الخمسة الأساسية للانسان التى سلف ذكرها لا يتحقق حصولها إلا بعد قبول هذه القوانين .

المرتبة الثانية : الحاجة

وهى التى لا يتوقف عليها قوام الحياة و لكن إذا فقدت يختل نظام الحياة و يقع الناس فى حرج شديد ، و تتوخى الشريعة بها التخفيف و السهولة فى

الأحكام كالتيسيرات الحاصلة فى السفر و المرض التى تسمى بالرخص ، وكجواز المبادلات الآجلة و جواز المزارعة و المقاسمة التى لا تستقيم مع القياس فى ضوء قواعد الفقه العامة ، و كجواز استعمال الأطعمة الشهية و الملابس الفاخرة إلى حد خاص ، و حكم القسامة فى الأحكام الجنائية حيث إذا لم يعلم القاتل تجب الدية على الذين وجد فيهم المقتول ، و قسمت الدية على عاقلة القاتل .

فأمثال هذه الأحكام التى تفوق العد و الحصر تقصد الشريعة بها دفع ما يوجد من المشقة و الحرج فيها بقواعد أخرى استثنائية ، ولا شك أن هذه القواعد و الأصول الجالبة للتخفيف هى التى تحمل فى طيها سر دوام القوانين الاسلامية و صلاحها لكل عصر وجيل .

المرتبة الثالثة : التحسين .

وهو ليس كالضرورة التى لا بد منها لبقاء الحياة ولا كالحاجة التى إذا فقدت نال الناس حرجاً شديداً بل هو من المكملات و المحسنات ، و عرف التحسين الشيخ الفقيه الامام أبو زهرة بقوله :

« هى الأمور التى لا تتحقق أصل المصالح و لا الاحتياط لها و لكنها تحفظ الكرامة و تمنع المهانة » كالسب و الشتم و إجراء العقوبات عليه ، مع أن الواضح أن السب ليس مما يضر ذات الانسان ، و كمنع الغش و الغبن فى المبادلات المالية التجارية و كأحكام الحجاب و المنع من التبرج ، و الخروج فى الزينة على الناس ، أخذاً بالحيطة لحفظ أعراضهن و صيانة اختلاط النسب ، و كالمنع عن نشر الأفكار اللادينية التى تتعارض مع عقائد الاسلام و مبادئه الأساسية ، و كالحظر على شرب الخمر جهراً ، كل هذا يدخل فى التحسين .

ليس هذا التقسيم منصوصاً من الشارع ولا ذكره الفقهاء المتقدمون الذين

دونوا الفقه و أصوله ، و لكن المتأخرين من العلماء مثل الحافظ عز الدين بن عبد السلام و الامام أبى حامد الغزالى ، و السيوطى ، و ابن نجيم ، و أبى إسحاق الشاطبى ذكروا فى مؤلفاتهم هذه التقسيمات فى ضوء النظرة العامة للفقه الاسلامى .

قال أبو إسحاق الشاطبى بعد أن تكلم على مكانة هذه التقسيمات الفقهية :

« إنما الدليل على مسألة ثابت على وجه آخر ، وهو روح المسألة ، و ذلك أن هذه القواعد الثلاث لا يرتاب فى ثبوتها شرعاً أحد مما ينتمى إلى الاجتهاد من أهل الشرع و إن اعتبارها مقصود بالشارع » .

ولا بد من الايضاح فى هذا المقام أنه لا يصح الظن بأن كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث تحمل حكما خاصا فى الشرع ، مثل أن الضرورة وما يندرج تحتها تكون فرضاً ، و التحسين وما يشتمله يكون مباحاً جائزاً فقط ، بل يصح أن يكون ما يندرج تحت قسم الضرورة جائزاً فحسب كالبيع و الشراء ، وما يدخل تحت قسم التحسين يكون واجباً لازماً كتحريم السب و وجوب الحجاب .

أصول الترجيح

ذكرنا فيما سبق تلك المقاصد التى تغلغلت فى نظام الحياة الاسلامى كله جريان الدم فى الشرايين مع بيان مراتبها و أهميتها تجاه ضرورات الانسان و مقتضياته ، وكل من يتجشم مطالعة القوانين الاسلامية للتعرف على هذه المقاصد يدرك بعد أدنى تأمل أن هذه المقاصد التى كان لفقهاء الاسلام فضل الأسبقية فى بيانها ولكن ليس لأى مجموعة من أرقى مجموعات القوانين الرائجة اليوم فى الدنيا أن يهملها .

و من أصعب القضايا و أكثرها أهمية و عناية هى تعيين مراتب الأحكام من حيث أهميتها . فما من شئ فى الدنيا إلا و تجد أنه كامل من ناحية و ناقص من ناحية أخرى ، نافع فى جانب وضار فى جانب آخر ، له جدوى فى المعيشة

و ضرر فى المعاشرة ، يأمر الدين بتركه و تطلب النفس فعله ، مصلحة تقتضيه و أخرى تمنعه ، و على هذه المرحلة الخطيرة يقوم فقيه له بصيرة نافذة و خبرة بالضرورات البشرية ، و إلمام بروح الاسلام العامة ، و اطلاع بأسرار الفقه الاسلامى وحظ كامل بالنظر العميق على الكتاب و السنة ، يقوم بالترجيح فى الأحكام و المصالح بعضها على بعض فى أسلوب لا يتصادم مع أى مقتضى دينى ولا يوقع الحرج والمشقة فى ضرورات الانسان الجائزة ، و قليل من الانحراف فى هذا المقام يجعل القانون فريسة الافراط أو التفريط ، و هذا الاتزان و الاعتدال هو الميزة الكبرى للاسلام و لأحكامه المتزنة .

و الأصل فى هذا بصيرة المجتهد و فهمه للاحوال ، ولكن توجد بالاستقراء عدة أصول فى الكتب الفقهية بهذا الصدد ، سيأتى بيانها فيما يأتى :

المقاصد الخمسة الأساسية :

هناك خمسة أمور أساسية و فطرية للانسان ، يتوخى الاسلام تهذيبها و العلاقة فيما بينها بغاية من التوازن و الاعتدال تحقيقاً لمقاصد نظام الحياة الاسلامى ، وهى رعاية و حفظ الدين و النفس و النسل و المال و العقل ، ولكن ما هى مراتب هذه المقاصد ؟ و إذا وقع التعارض فيما بينها بحيث تقتضى مصلحة إحداها شيئا و مصلحة الأخرى منها شيئاً آخر ، يتعارض مقتضى مصلحة الدين مع مقتضى مصلحة الاقتصاد و مقتضى مصلحة المحافظة على النفس ، و يكون اقتضاء مصلحة المحافظة على المال شيئاً آخر ، و يكون كل من هذين المتعارضين فى مرتبة واحدة بأن كان كلاهما فى مرتبة الضرورة أو فى الحاجة ، فما هو معيار الترجيح إذن ؟

بعد التأمل على هذه الناحية نجد أن ما يقرره الاسلام للانسان كضرورته الأساسية الأولية هو الدين ، وما سوى ذلك لا يمت بصلة إليه إلا لأنه حيوان

إنسى ، أما مظهر بشريته فهو الدين و الأخلاق ، فمن الطبيعى أن تترجح مصلحة الدين و مقتضياته على غيرها من الضرورات الأخرى ، لذا رأينا أن الاسلام فرض الجهاد لصيانه حوزة الدين لا ذوداً فحسب بل إقداماً أيضاً إذا اقتضت الظروف ذلك ، ولو فيه ما فيه من ضياع الأموال و هلاك الأنفس و انقطاع النسل و الأولاد ، و هناك كثير من الأحكام لا تدرك بالعقل مثل الحروف المقطعات ، ولكن وجب على المرء الايمان بها و الاستسلام لها ، و هذا مطلوب منه ، حتى لا يصبح هو عبداً للعقل المحض .

و أحيانا تؤخر المصالح الدينية من المصالح الأخرى لأسباب توجب ذلك ، و من هنا وقع بعض المؤلفين فى شبهة أن المصالح الدينية تتأخر بالأحكام الأخرى ، و ليس الأمر كذلك ، بل الحقيقة أن حكما من أحكام الدين يكون بحيث لو أخر لا ينتفى كليا ، و قابلته مصلحة أو ضرورة يكون تأخرها كانتفائها ، فعندئذ تترجح هذه المصلحة ، مثلا أن كان رجل فى صلاة وخشى أنه لو لم يترك الصلاة لهلك ، فابقاء على الحياة و محافظة على النفس يجب عليه ترك الصلاة فضلا عن جواز تركها ، لأن الصلاة إذا بطلت أعيدت ، أما النفس فلا بقاء إذا ضاعت .

و يلى مرتبة حفظ الدين ، حفظ النفس ثم حفظ النسل ثم حفظ العقل ثم حفظ المال ، و على هذا الترتيب تكون المصالح المتعلقة بنفس الانسان و نسله و عقله و ماله ، كل منها يترجح على ما بعده ، و هذا إذا كانت هذه المصالح فى درجة واحدة من حيث أهميتها و ضرورتها .

أما إذا كانت المصالح المتعارضة فى مختلف المراتب بأن يكون بعضها فى مرتبة الضرورة و بعضها الآخر فى مرتبة الحاجة و البعض الثالث منها فى مرتبة التحسين ، فالأصل فيه أن مصالح الضرورة تترجح على مصالح الحاجة ، وهى تترجح على مصالح التحسين .

يقول الشاطبى :

« إن كل واحدة من هذه المراتب لما كانت مختلفة فى تأكد الاعتبار فالضروريات أعلاها ثم تليها الحاجيات و التحسينيات » .

نجد لذلك كثيراً من الأمثلة فى المجموعات الفقهية ، مثلا إن الخمر حرام و معصية مستوجبة للعقوبة ، و لكن إذا اضطر إلى شربها لحفظ النفس تغذياً أو تداوياً يجوز شربها ، لأن حفظ النفس فى مرتبة الضرورة ، و تحريم شرب الخمر فى مرتبة الحاجة .

أخذ الرشوة و إعطاؤها كلاهما حرام ، وقد لعن الله على الراشى و المرتشى ، و لكن إذا لم يكن بد من إعطاء الرشوة للحصول على الحق ، يجوز له ذلك ، لأن المحافظة على حقوقه المالية أو غير المالية من ضروريات الانسان ، وهى تقتضى جواز إعطاء الرشوة فى ظروف خاصة للحصول على الحق ظناً بأنه عمل غير صحيح ، و الرشوة و إن كانت فى مرتبة الحاجة و لكن اعتقاد حرمتها مما علم من الدين بالضرورة ، فترجحت المصلحة المالية لكونها فى مرتبة الضرورة على المصلحة الدينية حال كونها فى مرتبة الحاجة .

إن الكذب حرام و كبيرة من الكبائر ، و عد من علامات المنافق فى الحديث ، و لكن إذا توقف عليها حفظ حياة أحد أو بقاء العلاقة الزوجية ، يجوز ارتكابها شاعراً بشناعته و تحريمه ، فقد ترجحت هنا مصلحة حفظ النفس و النسل لأهميتها على مصلحة الدين ، و هذا ليس إلا غيضا من فيض الأمثلة المتضافرة فى الكتب الفقهية .

« يتبع »

كعب بن زهير ، نسبه و شعره

—(٣)—

بقلم : الأستاذ المحقق أبى محفوظ الكريم معصومى
أستاذ فى الحديث و التفسير
بالمدرسة العالية بكلكتا (غرب البنغال)

وممن ساقه التوفيق إلى رسول الله ﷺ فى سفر الهجرة وهب بن قابوس (أوقابس) المزنى، فانه أسلم عندما بلغ الرسول إلى (العرج) فأمره بالمكث فى مكانه لحين ، ثم إنه قدم (المدينة) فى السنة الثانية ، و استصحب معه ابن أخيه الحارث بن عقبة بن قابوس ، و هذا يدل على سعيه سعياً حثيثاً فى نشر دعوة الاسلام ، وريثما دخلا المدينة وجدا رسول الله ﷺ أنه قد خرج مع أصحابه إلى سفح (أحد) أمام قريش المهاجمين ، فسارا إلى (أحد) و اشتركا مع أصحاب الرسول فى قتال العدو ، و ذلك عند ما حمى الوطيس فاستشهدا فى سبيل الله ، ويروى عن عمر و سعد بن أبى وقاص اغتباطهما بذينك المزنيين ، وهذا نص قولهما عند ابن سعد « فما حال نموت عليها أحب إلينا من أن نلقى الله على حال المزنى » .

و باسناد آخر ورد ما يلى : « إن أحب موتة إلى موتة المزنيين » (١) .

و ممن أسلم منهم مع حلفائهم من الأنصار ثم شهدوا غزوة (بدر) و حازوا فضيلة شهودها ، مالك ابن نميلة ، و كان حليفا لبنى معاوية بن مالك بن عوف

(١) انظر ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير (ط. بيروت) ج ٤ ص ٢٤٧ . ابن عبد البر : الاستيعاب (على هامش الاصابة) ج ٣ ص ٥٩١ ، ج ١ ص ٣٠٤ ، ابن حجر : كتاب الاصابة ، رقم ٩١٧٣ ج ٣ ص ٦٠٧ أيضاً رقم ١٤٥٠ ج ١ ص ٢٨٤ .

(أوس) وعاصم بن البكير حليف الخزرج كلاهما شهدا بدرا و أولهما استشهد (١) فى (أحد) .

ثم أخذ عدد المسلمين فى مزينة يتزايد يوما فيوما ، ذكر الواقدى عن كثير بن عبد الله المزنى أن أول وفود مضر إلى النبى كان وفد مزينة ، وردوا المدينة فى رجب سنة خمس ، وهم أربعمائة ، فقال لهم النبى عليه السلام : « أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا إلى أموالكم » (٢) فرجعوا إلى أرضهم طائعين مستبشرين .

و ثمر عند ابن حجر برواية فى إسنادها انقطاع ، غير أن الرواة جميعاً ثقات ، أن النعمان بن مقرن قدم على النبى فى أربعمائة من مزينة (٣) فلعلها عينا تلك الرواية التى استقى منها الواقدى ، فجاء بمزيد التحديد لزمن ورودهم ، ثم إن الجماء الغفير هذه سبقها رهط عشرة تحت رئاسة خزاعى بن عبد نهم (٤) وفى ضمنهم سمى النعمان بن مقرن ، فلعلها النهزة الأولى التى انتهزها مزينة الوفادة إلى النبى عليه السلام حتى إن الظروف صارت ملائمة على الأكثر فوفدوا فى مئات .

أما أصحاب الخندق فعد فيهم ابن سعد عدة رجال من مزينة ، مثل قرة بن أياس بن هلال المزنى ، عصام المزنى و وهب بن حذيفة بن عباد المزنى (٥)

(١) ابن سيد الناس : عيون الأثر ج ١ ص ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ابن حجر الاصابة رقم ٧٦٩٧ ج ٣ ص ٣٣٦ أيضاً رقم ٤٣٩١ ج ٢ ص ٢٤١ .
(٢) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ١ ص ٢٩١ .
(٣) الاصابة ، رقم ٨٧٦١ ج ٣ ص ٥٣٥ — ٥٣٦ .
(٤) الاصابة ، رقم ٨٧٦١ ج ٣ ص ٥٣٥ — ٥٣٦ .
(٥) راجع على الترتيب تراجمهم فى الاصابة — رقم ٧١٠٢ ج ٣ ص ٢٢٣ ، رقم ٥٥٤٦ ج ٢ ص ٤٧٣ ، رقم ٩١٥٨ ج ٣ ص ٦٠٤ و الاستيعاب ج ٣ ص ٥٩١ (بهامش الاصابة) .

و اختلفوا فيه فهو على قول : غفارى ، و على آخر : ثقفى .

كذلك الحديبية من شهدها منهم و تشرف ببيعة الرضوان ، عددهم كثير جداً ، و إن بلغنا بالتصريح أسماء عديدة فقط ، مثل معقل بن يسار ، عبد الله بن معقل ، عائذ بن عمرو بن هلال رضى الله عنهم جميعاً (١) .

والخلاصة أن الفترة بين الحديبية وفتح مكة معلومة فالغالب فى أثنائها أن قبيلة مزينة تماماً دخلت فى الاسلام غير أفراد قليلين منها ، استمروا متشردين فى مختلف النواحى ، و كان صنم القبيلة (نهم) هدموه إذ ذاك بحيث لم يبق له أثر .

كانت راية مزينة فى الفتح بيد خزاعى بن عبدنهم ، و بالاضافة إلى ذلك كتب أهل السير و المغازى أن رايات مزينة كانت بأيدى النعمان بن مقرن و بلال بن الحارث أيضاً ، فلعل مزينة حسب المصالح انقسمت إلى فرق عديدة ، فكان لكل فريق لواء أو راية على حدة ، فان القبيلة لم تكن أقل من ألف رجل كما ذكر بجير بن زهير فى شعره بصدد الفتح .

صبحناهم بألف من سليم و ألف من بنى عثمان واف (٢)

أسلم بجير قبل أخيه كعب بكثير ، و بعد وصوله إلى رسول الله آثر القيام عنده بالمدينة ، و استمر كعب يتحيز إلى أهل مكة بأدواته كلها شعراً و بياناً ، فى هذا الصدد ذكر صاحبنا كاتب المقال الأردوى منام زهير و وصيته لبنيه ، كما ذكرها ابن هشام النحوى فى شرحه لبانت سعاد ، يضاف إلى ذلك أن قصة المنام

(١) راجع تراجمهم على ترتيب أسمائهم ، صحيح البخارى : ص ٧١٧ و الاصابة رقم ٨١٤٤ ج ٣ ص ٤٢٧ ، رقم ٤٩٧٣ ج ٢ ص ٣٦٤ ، رقم ٤٤٤٩ ج ٢ ص ٢٥٣ .

(٢) ابن سعد الطبقات الكبرى (تحقيق الكوثرى) .

و الوصية رواها أبو عبيد معمر بن المثنى و عنه نقلها أبو زيد القرشى فى مقدمة جمهرة أشعار العرب (١) و فى إسناده انقطاع ، ثم ذكر مثله أبو الفرج الأصبهانى عن أبى زيد عمر بن شبة (ت ٢٦٢هـ) بدون أى إسناد ، و الظاهر من سياق ابن شبة أن بجيرا أسلم قبل الهجرة إلى المدينة ، فرجع إلى بيته ، ثم اتصل بالنبى ﷺ بالمدينة و استقر بها ، وما زال يشترك فى غزوات خيبر و الفتح و حنين (٢) .

فبناء على سياق ابن شبة يتوضح أن بجيرا أسلم فى الدور المكى غير أن هذا الخبر لم ينحدر إلينا كاملا باسناده ولا تساعده بقية القرائن .

لا بأس أن نعتمد خبر المنام و الوصية ، و لكنه وحده لم يكن حافزاً قوياً لسير الأخوين كعب و بجير إلى المدينة ، فقد كانت هنالك دوافع أخرى عديدة على ما سردناها بأعلاه ، و يزاد على ذلك أن زهيراً إذا أوصاهما بقرب انبثاق النور و ظهور الرسول فأى مانع كان لكعب بعد وصوله إلى (أبرق العزاف) حتى امتنع و انقطع من متابعة السير ؟ لا شك أن الكاتب الفاضل أحسن فى سرد القصة باتتظام بعد أن جمع و نسق أشتاتها و لكن فاته أن يلفت النظر إلى بقية أجزائها الشاردة ، فلا بد أن نتعرض أولا بما جرى عليه الكاتب من تصوير القصة :

بصدد مسيرهما إلى المدينة يقول ما معناه (٣) :

« قد أجمع المؤلفون فى حياة الأصحاب على أن كعب بن زهير ألح على

(١) أبو زيد القرشى : جمهرة أشعار العرب (مقدمة الكتاب) ص ٣٢—٣٣ (ط . القاهرة سنة ١٩٢٦م) .

(٢) انظر الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى (ط . الساسى المغربى) ج ١٥ ص ١٤٣ .

(٣) مجلة برهان (ندوة المصنفين بدلهى ، عدد مارس سنة ٧٩) ص ١٤٣ .

أخيه بجير أن يذهب إلى المدينة فيسمع من رسول الله ما يقول و يدعو إليه وكعب فى الوقت نفسه يراقب الأغنام فى مرعاها بأبرق العزاف و يترقب لأخيه حتى ينصرف .

ثم استمر صاحب المقال يسرد القصة على النمط التالى (١) :

« على كل حال ، فان بجيراً قد ورد المدينة ولقى رسول الله و أسلم وسار معه فى جيش الفتح إلى مكة مؤمناً بالله و رسوله فجاهدا ، وتغلغل فى قلبه حب المدينة حيث أحاطت به بيئة موفقة للغاية ، فانقضت الليالى أشهرا بعد أشهر حتى انقرضت سنوات عدة ، و فى أثنائها لم يفكر بجير فى أخيه ولا فى شئ من مقاله فضلا أن يتذكر هو قصده السالف الذى قصده عندما سار صوب المدينة ، و أخيراً بلغ كعباً أن أخاه بجيراً قد أسلم و أقام بالمدينة فهنالك ترمع غضباً على بجير ، و كان هو فى ذلك غير مخطئ على الظاهر ولما كان الشعر سيط بلحمه و دمه انطلق على لسانه عدة أبيات تدل على شدة غيظه » .

تكفينا هذه النبذ لمعرفة ما جرى عليه صاحب المقال ، ولسائل أن يتساءل كيف اتخذ هذا الكاتب بيان ذلك مما أجمع عليه المؤلفون فى أخبار الصحابة ، ثم إنه لم يأت بالاشارة إلى مصدر موثوق به ، فأظنه اعتمد سياق ابن عبد البر القرطبي فانه يقول فى ترجمتى كعب و بجير ما نصه (٢) :

« و كان قد خرج هو و أخوه بجير بن زهير إلى رسول ﷺ ، حتى بلغا أبرق العزاف فقال كعب لبجير ، الق هذا الرجل و أنا مقيم لك ههنا ، فقدم بجير على رسول الله ﷺ فسمع منه و أسلم . . الخ .

(١) أيضاً المرجع السالف — ص ١٤٤ .

(٢) انظر الاستيعاب (على هامش الاصابة) ج ٣ ص ٢٨١ و ترجمة بجير ج ١ ص ١٧٤ .

هذا الذى نقلناه عن ابن عبد البر يريني فيه أمران على النسق التالى :

١— قد استمرت مكانة ابن عبد البر معروفة فى أجلاء أهل العلم مع ذلك فلم يسنح له أن يسوق هذا الخبر باسناد نراجعه عند الحاجة .

٢— ثم إن الجزء الأول من قوله أعنى خروج الاخوين معاً بقصد رسول الله لا يتلاءم مع الجزء الثانى ، و يتوضح من ههنا أن النزعة التى ظلت عالقة بقلب بجير ، ما حصل على مثلها كعب للآن ، و إلا فلا يتجه معنى لوقوفه بأبرق العزاف .

أما دعوى الاجماع التى بنى عليها الكاتب ، فيقال بصددها أن الشيخ ابن حجر مع سعة علمه و عمق معرفته لا يشير إلى هذا المعنى فى ضمن ما ساق من أخبار كعب ، فليس إذن هذا البيان مما اتفق عليه المؤلفون فى أخبار الصحابة ، ولكنه بيان ابن عبد البر وحده ، ومما يعتبر حقيقاً بالاعتبار أن الشيخ ابن حجر نقل فى هذا الصدد نصاً ممتعاً كما يلى (١) :

« قال ابن أبى عاصم فى الآحاد و المثانى : حدثنا يحيى بن عمر بن جريج حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا الحجاج بن ذى الرقيبة بن عبد الرحمن بن كعب بن زهير عن أبيه عن جده قال خرج كعب و بجير حتى أتيا أبرق العزاف فقال بجير لكعب : اثبت فى غنمنا هنا حتى آتى هذا الرجل فأسمع ما يقول ، فجاء بجير رسول الله ﷺ فأسلم فبلغ ذلك كعبا فقال :

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة — الأبيات

لاغرو أن هذه القبسة قد عثر عليها صاحبنا بلا شك كما يتبين من تعليقاته على هوامش مقاله (٢) لكنه لم يخطر بباله مالها من قيمة أساسية فى هذا الشأن ،

(١) الاصابة رقم ٧٤١٣ ج ٣ ص ٢٧٩ .

(٢) انظر مجلة برهان (مارس ، ١٩٧٩م) ص ١٥٥ رقم ٨ .

و لذلك التقط فى مقاله على الأكثر مما سرده ابن عبد البر ثم ضم إليه شيئاً يسيرا عن ابن حجر ، فاستوى له من عباراتهما سياق قدمه إلينا بترتيب خاص تصويراً للواقعة ، و أطلق عليه أنه البيان المجمع عليه لدى المؤلفين فى تراجم الصحابة ، ولو أنه فكر فى النبذة التى أوردها ابن حجر تفكيراً عميقاً لاتضح عليه أنها تتضمن النكت التالية نفياً و إيجاباً .

١— هذه الرواية تخلو من أى دلالة على أن الأخوين خرجا يريدان الوصول إلى المدينة منذ بدء الأمر ولئن حملنا خروجهما ذلك على هذا الغرض إلى حد الاحتمال فقط ولا يستساغ أيضاً التمسك بالاحتمال الصرف لأنهما خرجا يرودان المرعى لغنمهما .

٢— بعد و صولهما إلى أبرق العزاف لا تبقى صورة الواقعة على ما بينها ابن عبد البر و لكنها تبدو على غير صورتها لديه بأن الذى سأل أخاه أن يذهب إلى المدينة هو بجير وليس هو كعب نفسه ، ثم إن بجيرا اقترح على كعب أن يتوقف فى المرعى يرى فى مصالح الغنم ، و فى أثنا ذلك هو يسير إلى المدينة ليسمع بأذنيه ما يقول رسول الله ﷺ ويرشد إليه ، فلما وصل بجير المدينة أسلم ثم لم يرجع بعد .

٣— ليس فى هذه الرواية فى شئ ما أن بجيراً أرسله كعب إلى المدينة وليس هناك شئ أكثر من عدم اعتراض كعب على بجير حينما استأذن من أخيه لمتابعة السير إلى المدينة ، و أن كعبا لم يمنعه فعلا من هذا القصد ، و لكنه لما بلغه عن بجير دخوله فى الاسلام ، فقد أعلن بسخطه على ذلك و أوعده وهدده ، بل وفوق ذلك تعرض جهراً للاسلام ولرسول الله ﷺ ، فهذا الحد الذى بلغه كعب إذ ذاك فى التنديد بالرسول و بالاسلام يترشح منه

أن كعبا لو خطر بقلبه من قبل أن بجيرا سيعطى يده بيد رسول الله ﷺ و يدين بدينه لما وسع لكعب إلا أن ينهاه عن السفر إلى المدينة ، و يتأكد ذلك مما ذكر السكرى أبو سعيد ١) أن بجيراً لما أسلم فقد ثار عليه أهله و اغتاظوا و اشتدت عليه مخالفة كعب أخيه ، و كذلك قال ابن قتيبة الدينورى (٢) إن كعبا اجتهد فى منع بجير من الاسلام ، ثم إن قطعة كعب دلت أيضاً على أنه لم يتوقع من أخيه أن يقبل على الاسلام بهذه السرعة ، و لوصح خروجهما معاً بنية الوصول إلى المدينة عند السكرى و الدينورى لكان الرجاء أن يشيرا إلى ذلك .

ثم على فرض أن يكون بجير على ميعاد مع أخيه قبل أن يغادر للمدينة ، فلما دخلها و أطال اللبث بها ونسى ما وعده إياه — كما زعم ذلك صاحبنا — (٣) فلهذا السبب غضب عليه كعب ، فليس فيه ما يبرر له جانب التجنى على رسول الله ﷺ ولو وقع ذلك كذلك لذكره بنو كعب على هذا الوجه ، فالصواب أن الواقعة لم تكن تنطوى على تلك الهيئة التى تخيلها غيرهم من الرواة ، و طالما قيل : صاحب البيت أدرى بما فيه ، فعلى ذلك قول بنى كعب فى الباب أجدر بالاعتماد دون ما انطوى عليه سياق ابن عبد البر .

مع ذلك يغلب على الظن أن ابن عبد البر قد استفاد ذلك من بعض مصادره ، ولكن لم يسنح له أن يسلك مسلك الترجيح و الانتقاد لصعوبة الالتزام بذلك فى الأمور التافهة أو التفاصيل الجزئية . « يتبع »

(١) راجع ديوان كعب (مع الشرح) ص ٣ .
(٢) الشعر و الشعراء لابن قتيبة ص ٦١ .
(٣) انظر مجلة برهان (العدد السالف) ص ١٤٤ .

السلطات الثلاث و رؤية الاسلام إليها

للمستشار الدكتور / فؤاد عبد المنعم

— مفهوم السلطات الثلاث فى العصر الحديث :

يقصد بالسلطات الثلاث فى العصر الحديث : السلطة التشريعية ، و السلطة القضائية ، و السلطة التنفيذية (١) .

و السلطة التشريعية تتولى وضع القوانين و الأنظمة ، و هى مجموعة قواعد تنظم سلوك الأفراد فى المجتمع و يترتب على مخالفتها جزاء .

كما تقوم السلطة التشريعية بوظيفة مالية و هى مراقبة مالية الدولة ، ويبرز دورها فى الموافقة على موازنة الدولة ، و فى الموافقة على فرض ضرائب على المواطنين عند الحاجة ، فى السماح للسلطة التنفيذية بالاقتراض العام .

كما للسلطة التشريعية مراقبة السلطة التنفيذية فى تنفيذ القوانين و الالتزام بها ، ولها فى سبيل ذلك سؤال الوزراء عن أعمالهم وتصرفاتهم فى مجال وزاراتهم بل لها استجوابهم ، و لذلك يتمتع ممثل الشعب بحصانة برلمانية تحميه من سلطان السلطة التنفيذية أن تبطش به أو تنتقم منه ، فلا يجوز أن تتخذ ضده أية إجراءات جنائية ما لم يسمح المجلس التشريعى أو تنتهى عضويته (٢) .

---

(١) وهناك سلطة أخرى أسمى من هذه السلطات جميعاً من حيث المرتبة وهى السلطة التأسيسية : سلطة وضع القانون الأساسى ـ الدستور ـ أو تعديله أو إلغائه ، الدكتور عبد الحميد متولى : مبادىء نظام الحكم فى الاسلام ص : ٥٨٩ .

(٢) الدكتور محمود حلمى : نظام الحكم الاسلامى مقارناً بالنظم المعاصرة ، الطبعة الرابعة ، دار الهدى ، مصر ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ من ص ٢٠٤ - ٢١١ .

وتقوم السلطة القضائية : بتطبيق الأنظمة والقوانين بالفصل فى الخصومات و توقيع العقوبات وفقاً لها .

أما السلطة التنفيذية : فهى تقوم بتنفيذ القوانين و رسم السياسة العامة للدولة فى كافة المجالات ، و تتكون السلطة التنفيذية من رئيس الدولة و الوزراء و نوابهم و جميع الموظفين من كافة الدرجات و المستويات (عدا أعضاء السلطة القضائية) المنوط بهم تنفيذ القوانين ، و تشمل جميع الأجهزة الادارية سواء أكانت تابعة للوزارات أو تتمتع بشىء من الاستقلال .

و تتولى السلطة التنفيذية إعلان الحرب ، و عقد المعاهدات ، و تعيين الممثلين السياسيين واعتماد ممثلى الدول الأجنبية فى المجال الخارجى ، ولها حق إعداد التشريع باقتراحه و التصديق عليه أو الاعتراض و إصدار اللوائح التنفيذية و التفويضية و اللوائح المستقلة فى الظروف العادية ، ولوائح الضرورة والطوارىء فى الظروف الاستثنائية (١) .

المبحث الأول السلطة التشريعية

— السلطة التشريعية العليا فى الاسلام لله تبارك و تعالى (٢) فقد خلق الكون

---

(١) أنظر تفاصيل ذلك ، الدكتور محمود حلمى : نفس المصدر ص ٢٥٣ - ٢٨٧

(٢) فلا حاكم سواه ، و لا حكم إلا ما حكم به .

الآمدى : الاحكام فى أصول الأحكام ١ : ١١٣ ، وابن الحاجب منتهى الوصول ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ، سنة ١٩٢٣ ص ٢ والرسول صلوات الله عليه وسلم ـ ليس حاكماً ، إذ ليس للرسول ولاية إثبات الأحكام الشرعية و رفعها من تلقاء نفسه و إنما هو رسول و مبلغ عن الله تعالى ما يشرعه من الأحكام و يرفعه ، الآمدى ٣ : ١٥٤ .

و الحياة و الانسان فيقول الله عز و جل :

« وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق » ر الأنعام : الآية ٧٣) .

« هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » سورة البقرة : الآية ٢٩ .

« قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار » سورة الرعد : الآية ١٦ .

و الله هو مالك هـذا الخلق و حاكمه و مدبر أمره ، له الحاكمية فى هذا الكون و ليس لأحد الحق فى أن يكون له نصيب منها .

فالله تبارك و تعـالى : « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض » سورة السجدة : الآية ٥ .

و يقول : « ألم تعلم أن الله له ملك السموات و الأرض » (سورة البقرة : الآية ١٠٧) .

« يقولون هل لنا من الأمر من شىء قل إن الأمر كله لله » (سورة آل عمران : الآية ١٥٤) .

و يقول : « لله الأمر من قبل ومن بعد » (سورة الروم : الآية ٤) .

و يقول : « له ملك السموات و الأرض و إلى الله ترجع الأمور » (سورة الحديد : الآية ٥) .

« فهو سبحانه و تعالى قاهر كل شىء ، و مسيطر على كل شىء ، و عليم بكل شىء ، و متنزه عن العيب و الخطاء ، و قـدوس مهيمن مؤمن يهب جميع خلقه الأمن والأمان ، حى، قيوم ، قادر على كل شىء ، بيده كافة السلطات كل شىء خاضع لأمره قهرا ، بيده النفع و الضر ، ليس فى مقدور أحـد غيره أن ينفع أحداً أو يضره إلا باذنه . و لا أحد يملك الشفاعة إلا باذنه ، يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء ، لا معقب لحكمه ، لا يسأل عما يفعل ويسأل الجميع عما

يفعلون ، حكمه نافذ ، ولا قدرة لمخلوق على رده أو تأخيره أو المطل فيه - هذه الصفات كلها - صفات الحاكمية يختص الله سبحانه بها و لا شريك له فيها أبداً .

« و مقتضى العبودية لله ، و الطاعـة الخاصة ، التسليم لأمره و اتبـاع شرعه ، و حرام على المرء أن يخالفـه بابتداع قوانين أخرى يشرعها له أو ينقلها عن آخرين » (١) .

فالله تبارك و تعالى يقول لرسوله ﷺ و هو أمر موجه لأمته أيضاً « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها و لا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » سورة الجاثية : الآية ١٨ .

و قوله : « تلك حدود الله فلا تعتدوها و من يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » سورة البقرة : الآية ٢٢٩ .

« و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » سورة المائدة : الآية ٤٤ .

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » سورة المائدة : الآية ٤٥ .

« و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » سورة المائدة : الآية ٤٧ .

« ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت و قد أمروا أن يكفروا به و يريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً » .

و الرسول ﷺ هو ممثل حاكمية الله القانونية فى حياة البشر ، والله تبارك و تعالى يأمر بطاعة رسوله ، و أن طاعته من طاعـة الله ، و على المؤمنين أن يحكموا الرسول فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضى و يسلموا تسليما .

(١) أبو الأعلى المودودى : الخلافة و الملك ، تعريب أحمد إدريس طبعة دار القلم . الكويت ، ١٩٧٨م ص ١١ .

« وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله » سورة النساء : الآية ٦٤ .

« من يطع الرسول فقد أطاع الله » سورة النساء : الآية ٨٠ .

« و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا و اتقوا الله إن الله شديد العقاب » سورة الحشر : الآية ٧ .

« فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليما » سورة النساء : الآية ٦٥ .

فالقانون الأعلى هو حكم الله و رسوله والذى يتعين الانصياع و الخضوع له ، و انحرافه عنه نقيض الايمان و ضده .

قال عز و جل : « و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً » سورة الأحزاب : الآية ٣٦ .

« و يقولون آمنا بالله و بالرسول و أطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك و ما أولئك بالمؤمنين و إذا دعوا إلى الله و رسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون » سورة النور : الآية ٤٧ — ٤٨ .

و قال عز و جل : « إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله و رسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون » سورة النور : الآية ٥١.

إن النصوص القطعية الثبوت و الدلالة الواردة فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة هذه النصوص هى التشريع الأعلى الواجب اتباعه فى كل زمان ومكان، و إنكاره و جحوده خروج عن دائرة الاسلام ، و تعد هذه النصوص هى الشرع المبتدأ .

أما النصوص الظنية الثبوت من السنة والظنية الدلالة من الكتاب والسنة

فللمجتهدين الذين تتوافر فيهم شروط الاجتهاد الشرعية من العلم بآيات الأحكام و أحاديث الأحكام ، و المسائل المجمع عليها ، وفقه اللغة العربية و أسرارها ، و الشريعة و مقاصدها ، و مبادئها ، و أداتها بذل الجهد الأقصى للوصول إلى حكم الشرع فى مسألة ، و يسمى هذا حكم تقتضيه الشريعة .

قائمة (١) :

وقال أبو الأعلى المودودى رحمه الله : وثمة قسم من حياة الانسان سكتت الشريعة عنه تماماً فليس فيه حكم صريح أو قياس أو مستنبط ، و هذا السكوت فى حد ذاته دليل على أن الحاكم الأعلى (الله) أعطى الانسان حق إبداء رأيه

(١) الشيخ عبد الوهاب خلاف : « السلطات الثلاث فى الاسلام ، بحث منشور بمجلة القانون والاقتصاد ، عدد مارس ١٩٣٦ ص ٤٣٩ يقول : تطلق كلمة التشريع و يراد بها أحد معنيين أحدهما : « إيجاد شرع مبتدأ و ثانيهما بيان حكم تقتضيه شريعة قائمة » فى عدد أبريل ١٩٣٧ ص٥٦٦: « فالتشريع بالمعنى الأول فى الاسلام ليس إلا لله ، وأما التشريع بالمعنى الثانى « وهو بيان حكم تقضيه شريعة قائمة » فهو الذى تولاه بعد الرسول خلفاؤه من علماء أصحابه ثم خلفاؤهم ، وقال فى كتابه « السياسة الشرعية أو نظام الدولة الاسلامية » المطبعة السلفية « لمحب الدين الخطيب » ص ٤٢ « و أما فى الدولة الاسلامية فالذى يتولى السلطة التشريعية هم المجتهدون و أهل الفتيا ، و سلطتهم لا تعدو أمرين : أما بالنسبة إلى ما فيه نص فعملهم تفهم النص وبيان الحكم الذى يدل عليه ، و أما بالنسبة إلى ما لا نص فيه فعملهم قياسه على ما فيه نص واستنباط حكمه بواسطة الاجتهاد و تخريج العلة و تحقيقها » .

فى أمور و مسائل هذا القسم ، و من ثم يمارس الانسان التشريع فيها بحرية تامة شريطة أن يتطابق ما يشرعه ويتلائم مع روح الاسلام ومقاصده و مبادئه العامة (تصرف يسير) .

من الذى يتولى السلطة التشريعية فى هذا الجانب ؟

أسند الله تبارك و تعالى هذا الأمر لأولى الأمر فى قوله عز شأنه : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم » سورة النساء : الآية ٥٩ .

فمن هم أولى الأمر (١) ؟

و أصح الأقوال الواردة فى المراد بأولى الأمر قولان :

الأول : أهل القرآن و العلم ، و هو اختيار مالك ، و نحوه قول ابن عباس و الضحاك ، و مجاهد و عطاء ، قالوا : هم الفقهاء و العلماء فى الدين لأن أصل الأمر منهم و الحكم إليهم (٢) .

والثانى : قال الطبرى عنه : هو أولى الأقوال بالصواب : هم الأمراء والولاة لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بطاعة الأئمة و الولاة فيما كان لله طاعة و للمسلمين مصلحة (٣) .

(١) الحكومة الاسلامية ، طبعة المختار الاسلامى ، مصر ١٣٩٧هـ ص ١١٨ .

(٢) تفسير القرطبى ، طبع دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ج ٥ ص ٢٥٨ - ٢٦١ .

(٣) تفسير الطبرى تحقيق محمود محمد شاكر و مراجعة و خرج أحاديثه الشيخ أحمد شاكر ، طبعة دار المعارف بمصر ج ٨/ ٤٩٥ ، و فى نفس المعنى عماد الدين محمد بن الطبرى المعروف بالكيا الهراسى : أحكام القرآن ، ★

و يشمل أمراء المسلمين فى عهد الرسول ﷺ و بعده ، و يندرج فيهم الخلفاء و السلاطين و الأمراء و القضاة و غيرهم ممن له ولاية عامة .

وقد حمله كثير من العلماء على ما يعم الجميع لتناول الاسم لهم لأن للأمراء تدبير الجيوش والقتال وللعلماء حفظ الشريعة وبيان ما يجوز وما لا يجوز (١) .

وقد ذهب البعض فى العصر الحديث إلى أن السلطة التشريعية فى الاسلام يتولاها المجتهدون و أهل الفتيا (٢) .

قال الشيخ عبد الوهاب خلاف - يرحمه الله تعالى - عن السلطة التشريعية بعد وفاة رسول الله ﷺ طوال القرن الأول الهجرى قال : « إن الذين تصدوا للتشريع فى هذا العهد جماعة من أصحاب الرسول ﷺ امتازوا بطول صحبتهم للرسول ﷺ و بما أوتوا من علم وفقه وحفظ فعرفوا بفقهاء الصحابة ، وتفرقوا فى الأمصار الاسلامية ، و كانوا مرجع المسلمين يستفتونهم فيما ينزل بهم و فيما يعن لهم ، و كانوا هم رجال السلطة التشريعية فى ذلك العهد ، يرجع إليهم فى

★ طبعة دار الكتب الحديثة بمصر ، ج ٢ ص ٤٢٠ - ٤٢٥ ، و ابن جماعة : تحرير الأحكام فى تدبير أهل الاسلام ص ٦٢ قال : « و أولو الأمر : هم الامام و نوابه عند الأكثرين » .

(١) تفسير روح المعانى للألوسى ، الطبعة المنيرية ، دمشق ج ٥ ص ٦٥-٦٦ .

(٢) الجوينى : غياث الأمم فى التياث الظلم ، دار الدعوة ، الاسكندرية ٤٩ ، و الشيخ عبد الوهاب خلاف : السياسة الشرعية ، المرجع السابق ، ص ٤٢ ، و الدكتور سليمان الطماوى : السلطات الثلاث فى الدساتير العربية المعاصرة ، و فى الفكر السياسى الاسلامى ، دار الفكر العربى ، سنة ١٩٦٧م ص ٢٢٦ .

تبيان النصوص و فيما لا نص فيه ، من أشهرهم فى المدينة الخلفاء الأربعة الراشدون ، و زيد بن ثابت ، و عبد الله بن عمر ، وأم المؤمنين عائشة ، وفى مكة عبد الله بن عباس ، وفى الكوفة عبد الله بن مسعود ، و فى البصرة أنس ابن مالك و أبو موسى الأشعرى ، و فى الشام معاذ ابن جبل و عبادة بن الصامت ، و فى مصر عبد الله بن عبد الله بن عمرو ابن العاص . . .

و لم يكتسب واحد من هؤلاء حق التشريع بتولية الخليفة أو انتخاب الأمة و إنما كسبوه بما امتازوا به من علم بالقرآن و السنة وفقه لروح التشريع الاسلامى ، استفادوه من طول صحبتهم للرسول ، و اعترفت لهم أكثرية الأمة بهذا الحق، حتى يرجع إليهم فى الاستفتاء أو بعبارة أخرى « رجال التشريع » (١).

ثم عرض للسلطة التشريعية فى عهد لاحق يمتد حتى أوائل القرن الرابع الهجرى فقال : « إن هؤلاء المفتين من الصحابة — فى كل مصر إسلامى — التف حولهم تلاميذ لازموهم و حفظوا عنهم القرآن و رووا ما حفظوه من السنة و وقفوا على فتاويهم فيما نزل بهم من الحوادث ، وعلى الجملة أخذوا عنهم علمهم و ما استقر فى صدورهم من سر التشريع وفقه الاسلام ، و صار هؤلاء التلاميذ فقهاء التابعين ، و منهم من شارك أساتذته من الصحابة فى الفتيا مثل

(١) السلطات الثلاث فى الاسلام ، المبحث السابق الاشارة إليه ، طبعة القانون والاقتصاد ، السنة السادسة مارس ١٩٣٦م ص ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٧ ، وقال : « إن رجال السلطة التشريعية فى هذا العهد كانوا يصدرون فى اجتهادهم واستنباطهم عن فهمهم النصوص وتقديرهم المصالح حسب ما تهديهم إليه فطرتهم وحرصهم على الوصول إلى الحق وما كانوا مقيدين بقواعد فى استنباطهم و لا بقيود فى المصالح التى يعتمدون عليها فى هذا الاستنباط » .

سعيد بن المسيب و علقمة بن قيس ، فقد كان سعيد يفتى بالمدينة فى حياة بعض المفتين من الصحابة و كان علقمة يفتى بالكوفة فى حياة عبد الله بن مسعود ، فلما انقرض الصحابة ولم يبق من أهل الفتيا من يرجع إليهم المسلمون فى شئون التشريع كان هؤلاء التلاميذ من فقهاء التابعين خلفاؤهم ، و قد التف حول الفقهاء من التابعين تلاميذ لازموهم وأخذوا عنهم القرآن والسنة وفتاوى الصحابة و تعلموا عليهم و وقفوا على ما عندهم ، هؤلاء التلاميذ من فقهاء تابعى التابعين خلفوا أساتذتهم بعد انقراضهم ، و هكذا كان رجال الفقه و التشريع طبقات ، و رجال كل طبقة هم تلاميذ لسلفهم و أساتذة لخلفهم فاتصلت حركة التشريع الاسلامى باتصال هذه الحلقات فى سلسلة رجاله و توارث المسلمون الرجوع فى الاستفتاء طبقة بعد طبقة . . ولم يكتسب هؤلاء الرجال فى أية طبقة من طبقاتهم سلطة التشريع و الافتاء من تولية الخليفة أو الوالى و إنما وثق المسلمون بهم و اطمأنوا إلى علمهم فرجعوا إليهم و هم تصدوا لافتائهم » (١) .

و المجتهدون و أهل الفتيا هم أصحاب الاختصاص فى بيان الحلال والحرام

(١) نفس المصدر ، السنة السابعة ص ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٧١ ، و جدير بالاشارة أن الشيخ عبد الوهاب خلاف بعد أن قرر أن الذين لهم الاجتهاد بالرأى هم الجماعة التشريعية الذين توافرت فى كل واحد منهم شرائط الاجتهاد و مؤهلاته عاد و قرر « إذا اختيرت جماعة متوافرة فيهم هذه المؤهلات و ضمت إليها جماعة من العدول و أولى العلم بشئون الدنيا من قانونية و اقتصادية و تجارية و اجتماعية و صحية و غيرها ، تكونت من هاتين الجماعتين جمعية تشريعية فيها الأهلية للاجتهاد بالرأى » مصادر التشريع الاسلامى فيما لا نص فيه ، طبع القاهرة ، بدون تاريخ ص ١٢-١٥ .

فى أمر معين أو واقعة معينة (١) .

و لكن تنظيم هذا الأمر بوضع قواعد عامة مجردة تلزم الأمة .

و يترتب عليها الجزاء لا يقتصر على المجتهدين وحدهم (٢) .

و يقول الامام محمد عبده فى أولى الأمر هم « علماء الأمة المجتهدون والأمراء و الحكام و رؤساء الجند و سائر الرؤساء و الزعماء الذين يرجع إليهم الناس فى الحاجات و المصالح العامة » (٣) .

(١) قال الشيخ محمود شلتوت : « فان هؤلاء مع عظيم احترامنا لهم ، لا تعدو معرفتهم فى الغالب هذا الجانب ، ولم يألفوا البحث فى تعرف كثير من الشئون العامة كشئون السلم و الحرب و الزراعة والتجارة و الادارة و السياسة ، نعم ، هم كغيرهم لهم جانب خاص يعرفونه حق المعرفة وهم أرباب الاختصاص وأولو الأمر فيه ، وهو ما يتصل من التشريعات العامة بأصول الحل والحرمة فى دائرة ما رسم القرآن من قواعد الشريعة » الاسلام عقيدة و شريعة ٤٦٤ طبعة الشرق .

(٢) ولنأخذ مثلا تنظيم العاملين فى الخدمة المدنية للملكة أو الدولة أو وضع القواعد المنظمة لشئون الجامعات و رجالها و القوات المسلحة و ضباطها و جنودها فالاسلام يبيح تنظيم هذه الأمور ، فالحكم الشرعى فيها هو الاباحة ، ولكن كيف يكون التنظيم ، وكيف تحدد الترقيات والمرتبات ، وكيف يكون التأديب ، كل ذلك وسواه أمور لا تدخل فى اختصاص المجتهدين وأهل الفتيا وحدهم ، ولا داعى لأن ينفردوا بها دون سواهم ، الدكتور مصطفى أبو زيد فهمى : مبادىء الأنظمة السياسية ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ١٩٨٤م ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(٣) تفسير المنار ، طبعة المنار ١٣٢٤هـ ج ٣ ص ١١ ، و قال « أهل الحل والعقد من المؤمنين إذا أجمعوا على أمر من مصالح الأمة ليس فيه نص ✤

و يقول الشيخ شلتوت بأنهم « أهل النظر الذين عرفوا فى الأمة بكمال الاختصاص فى بحث الشئون و إدراك المصالح و الغيرة كأصحاب القضاء و قواد الجيش و رجال المال والاقتصاد والسياسة و غيرهم من الذين عرفوا فى تخصصهم بنضج الآراء و عظيم الآثار و طول الخبرة و المران ، فهؤلاء هم أولى فى الأمة و هم الذين يجب على الأمة أن تعرفهم بآثارهم و تمنحهم ثقتها و تنيبهم عنها فى نظمها و تشريعها و الهيمنة على حياتها وهم الوسيلة الدائمة فى نظر الاسلام لمعرفة ما تسوس به الأمة أمورها فيما لم يرد من المصادر السماوية الحاسمة و هم أهل الاجماع الذى يكون اتفاقهم حجة يجب النزول عليها » (١) .

و يقول أبو الأعلى المودودى : « هم الحائزون لثقة العامة الذين يطمئن إليهم الناس لاخلاصهم و نصحهم وأمانتهم وأهليتهم والذين تضمن مشاركتهم فى أقضية الحكومة أن الأمة ستمد إلى الحكومة يد التعاون فى تنفيذ هذه الأقضية » (٢) .

إن القواعد التشريعية التى تضعها السلطة التشريعية هى التى تنظم للناس أمرهم كلهم ، فليكن أمرهم هذا شورى بينهم ، و لتكن السلطة التشريعية خاضعة لمبدأ الشورى ، و لا تكون لفئة قليلة من البشر حتى و إن كانت هذه الفئة هى المجتهدون و أهل الفتيا (٣) .

و سنزيد هذا الموضوع تفصيلا فى بحث مبدأ الشورى .

✤ عن الشارع ، مختارين فى ذلك غير مكرهين عليه بقوة أحد و لا نفوذه فطاعتهم واجبة ، و يصح أن يقال هم معصومون فى هذا الاجماع .

(١) الاسلام عقيدة و شريعة ، طبع الادارة العامة للثقافة بالأزهر ، سنة ١٩٥٩م ص ٣٧٢ .

(٢) تدوين الدستور الإسلامى ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ص ٥٨ .

(٣) الدكتور مصطفى أبو زيد : نفس المرجع ص ١٦٩ .

العلاقة بين الكتاب و السنة

— ٢ —

فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلى
رئيس قسم التفسير بكلية الشريعة بندوة العلماء.
تعريب : محمد رحمة الله الندوى

فى ضوء ما تقدم يثبت ما قال العلماء أن « الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب » (الموافقات للشاطبى ٢٦/٤) .

وقد نقل الامام الأوزاعى عن حسان بن عطية -رحمهما الله- : « كان الوحى ينزل على رسول الله ﷺ و يحضره جبرئيل عليه السلام بالسنة التى تفسره » ، و قد أوضح هذا الشاطبى (ت سنة ٧٩٠هـ) بقوله : « لأن الكتاب يكون محتملا لأمرين فأكثر، فتأتى السنة بتعيين أحدهما فيرجع إلى السنة » (الموافقات ٨/٤) .

وقول الشاطبى هذا مستند إلى عديد من آيات القرآن - وقد مر ذكر بعض منها - ومثل هذا نقل عن الصحابى الجليل عمران بن حصين - رضى الله عنه - : « إن كتاب الله أبهم و إن السنة تفسر ذلك » (الموافقات للشاطبى ٢٦/٤) .

و أجاب التابعى المعروف مطرف بن شخير رحمه الله رجلا كان يقول : « لا تحدثونا إلا بالقرآن » فقال : « والله ما نريد بالقرآن بدلا ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن» (الموافقات ٢٦/٤) على إننا لو فسرنا الآية - أو الآيات - بغض النظر عن الأحاديث الشريفة فمن أين توجد الثقة بصحته؟ وما هو طريق فوقها ؟.

درس من التاريخ :

والتاريخ يشهد على أن كل من فسر القرآن الكريم بالاستغناء عن الحديث كان سبباً للضلال و الاضلال ويدل على ذلك وجود الفرق الضالة و الملاحدة -

و ما كان ظهور فتنة الخوارج التى قد ذهب ضحية سيوفها كثير من الصحابة الكرام و العبقريات المقدسة الفذة — و منها الخليفة الراشد الرابع سيدنا على كرم الله وجهه — إلا نتيجة الخطأ فى تفسير الآية « إن الحكم إلا لله » .

و تشبه الخوارج فرقة « القرامطة » التى زلزلت بنيان الدول الاسلامية الكثيرة وقلعت جذور الخلافة العباسية ، لذلك اعتبر الامام عبد القادر البغدادى (ت سنة ٤٢٩هـ) القرامطة أكثر ضرراً و أشد خطراً للمسلمين من اليهود و النصارى بل و من الدجال ، و كتب حول ضلالات هذه الفرقة و تأويلاتها الفاسدة المضحكة بغاية من التفصيل، وفيها عبرة لمن ينكر الأحاديث النبوية (١) .

وكذلك فتنة « القاديانية » فى عصرنا الراهن ليست إلا وليدة تشريح الآية القرآنية « خاتم النبيين » مضاداً للحديث النبوى الشريف .

ولأجل ذلك إن جميع الفرق الباطلة -من القرن الأول إلى يومنا هذا- لا يزالون يطعنون فى الأحاديث التى تضاد معتقداتهم و يرفضونها رفضاً باتاً .

و قد بين هذا الواقع التاريخى العلامة أحمد محمد شاكر رحمه الله فقال : « و قد لهج أعداء السنة أعداء الاسلام فى عصرنا و شغفوا فى الطعن . . . . و فى تشكيك الناس . . . إنما أرادوا أن يصلوا - زعموا - إلى تشكيك الناس فى الاسلام . . . . . و إن تظاهروا بالقصد إلى الاقتصار على الأخذ بالقرآن أو الأخذ بما صح من الحديث فى رأيهم - و ما صح . . . فى رأيهم إلا ما وافق أهواءهم . . . و لن يتورع أحدهم عن تأويل القرآن إلى ما يخرج الكلام

(١) الملل والنحل ، للشهرستانى (على هامش «الفصل») — للخوارج ١٥٦/١، للباضية ٢٩/٢ ، (الطبعة الأولى بمصر سنة ١٣١٧هـ) و كتاب « الفرق بين الفرق» ص ٥٤ وما بعدها، لعبد القاهر البغدادى (طبع دار الآفاق الجديد بيروت) .

عن معنى اللفظ فى اللغـــة التى نزل بها القرآن ليوافق تأويلهـــم هواهم و ما إليه يقصدون ! ! ..

و ما كانوا بأول من حارب الاسلام فى هذا الباب و لهم فى ذلك سلف من أهل الأهواء قديماً و من عجب أن تجـد ما يقول هؤلاء المعاصرون يكاد يرجع فى أصوله و معناه إلى ما قال أولئك الأقدمون . . . . و لقـد رأيت الحاكم أبا عبد الله (المتوفى سنة ٤٠٥ هـ) . . . حكى فى كتابه « المستدرك » (٥١٣/٣) كلام . . . إمام الأئمة . . . ابن خزيمة (المتوفى سنة ٣١١هـ) فى الرد على من تكلم فى . . . . فكأنما هو يرد على أهل عصرنا هؤلاء . . . » (١) .

و ليس خافياً على من يتلو القرآن أنه قد أمر باطاعة الرسول مع إطاعة الله فى مواضع شتى فى القرآن حتى أمر ذلك بصيغة الأمر فى اثنى عشر موضعاً لكن استعمل أحياناً كلمة « الرسول » و أحياناً كلمة « رسوله » مثلا فى سورة آل عمران فى موضعين الآية ٣٢ و الآية ١٣٢ ، فى سورة النسـاء الآية ٥٦ ، فى سورة المائدة الآية ٩٢ ، و فى ثلثة مواضع فى سورة الأنفال الآية ١ ، ٢٠ ، ٤٦ ، و فى موضعين فى سورة النور الآية ٥٤ و الآية ٥٦ ، و فى سورة محمد الآية ٣٣ ، و فى سورة المجادلة الآية ١٣ ، و فى التغابن ١٢ .

و لعل مثل هذا التكرار لا يوجد لأى حكم سواه فى القرآن الكريم ، أما ما ورد الأمر باطاعته ﷺ فى القرآن بأساليب أخرى فهو فى مواضع كثيرة ، مثلا : « استجيبوا لله و للرسول » (الأنفال) « فردوه إلى الله و إلى الرسول» (النساء) « فاتبعونى » (آل عمران) « وإن تطيعوه تهتدوا » (النور) « لقد

(١) نقلا عن « السنة و مكانتها فى التشريع الاسلامى » ص ٣٦١ للدكتور مصطفى السباعى (الطبعة الثانية ، المكتب الاسلامى دمشق) ونكتفى على هذه النبذة تحيلين للتفصيل إلى كتاب الأستاذ أبى زهرة « تاريخ المذاهب الاسلامية » الجزء الأول و الكتب التى ذكرت فيما قبل .

كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » (الأحزاب) « ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة » (الأحزاب) « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » (النور) « إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله و رسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا و أطعنا » (المائدة) ، و يلاحظ هنا أن القرآن ـ الذى أجمل فى بيان الأحكام ـ أطنب كل الاطناب فى بيان حكم إطاعـــة الرسول ، و ليس ذلك إلا لما للسنة من أهمية فى فهم القرآن و بيان مراده و تعيين مقاصده .

يقول ابن القيم (ت سنة ٧٥١هـ) : ـ مفسراً الآية : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ـ « فأمر تعالى بطاعته و طاعة رسوله وأعاد الفعل إعلاماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً سواء كان ما أمر به فى الكتاب أو لم يكن فيه . . . و لم يأمر بطاعة أولى الأمر استقلالا بل حذف الفعل وجعل طاعتهم فى ضمن طاعة الرسول إيذانا بأنهم يطاعون تبعاً لطاعة الرسول (١) .

أنواع السنة : ذكر الحافظ ابن القيم ـ فى موضع آخر ـ أن للسنة ثلاثة أقسام :

١ — ما تبين نفس الأحكام التى جاءت فى القرآن .

٢ — ما تعين مراد الآيات المجملة أو تفسير الألفاظ و الكلمات ، و لا يظهر كون إطاعة الرسول أمراً مستقلا بالعمل على هذين النوعين من الحديث .

٣ — الأحاديث التى تناولت بيان الأحكام مثل الايجاب و التحريم و سكت عنها القرآن .

و الحق أن العمل على الحكم القرآنى لا يتحقق إلا باطاعة هذه الأحكام

(١) «إعلام الموقعين» لابن القيم ج ٢ ص ٥٤ (مع حادى الأرواح ـ مطبع النيل ، مصر) .

و العمل عليها، و لو لم تكن السنة انفردت ببيان الأحكام لما بقى لقوله تعالى : « أطيعوا الرسول » أى معنى ؟ (١) .

ما هو المراد بالحكمة ؟ : قد تعدد ذكر كلمة «الحكمة» مع تعليم الكتاب بصدد وظائف خاتم النبيين ﷺ (مثلا سورة البقرة الآية : ١٥١ ، سورة آل عمران الآية : ١٦٤ ، سورة الجمعة الآية : ٢) و أنزل الله عليك الكتاب و الحكمة » (النساء) .

وكذلك أمر الله تعالى بذكرها فى القرآن الكريم أزواج النبى ﷺ عنها فقال : « واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة » (سورة الأحزاب) ويتبين بهذه الآيات أيضاً أن الحكمة التى أنزلها الله على نبيه وتتلى مع القرآن هى غير الكتاب، فما هو المراد من «الحكمة»، نجد الجواب فى قول الامام الشافعى رحمه الله وهو يشرح قوله تعالى : « واذكرن ما يتلى . . . الحكمة » ـ فذكر الله الكتاب وهو القرآن و ذكر الحكمة فسمعت من أرضاه من أهل العلم بالقرآن يقول : « الحكمة سنة رسول الله ﷺ » (٢) .

وقد دلت هذه الآية (آية الأحزاب) على وجوب ذكر السنة مع القرآن ، و معلوم أن «الذكر» سبب للحفظ و ما هو إلا لوجوب العمل به ، و بذلك اتضح مفهوم الآيات الأخرى التى ذكر فيها « الحكمة » .

و الآيات فى القرآن الكريم فى هذا الموضوع كثيرة و ذكرت عدة منها ولذلك أهل الحق لم يزالوا يعرفون مكانة السنة النبوية من زمن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين إلى يومنا هـذا ، و عنوا عناية بالغـة بصيانتها عن الضياع و يرونها أصل الأحكام ـ التى يجب العمل بها ـ مثل القرآن الكريم .

(١) مقتبس من الكتاب المعروف «ترجمان السنة» ١٢٥/١ للعالم الجليل و المحدث الكبير فضيلة الشيخ بدر عالم الميرتهى (مكتبة برهان بدلهى) .

(٢) « الرسالة » للامام الشافعى رحمه الله ص ١٢ (الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى الأميرية ـ ببولاق ، مصر) .

ولا يخفى إن طريقة المؤمنين الكاملين هى المؤدية إلى النجاة، وإن من يعرض عنها يدخل نار جهنم كما قال تعالى: «ومن يشاقق الرسول بعد ما تبين له الهدى، و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم » (النساء ، الآية ١١٥) .

لذلك بولغ فى الاهتمام لصيانة السنة ، و من هنـا نشأ فن أسماء الرجال المهم الذى يحافظ أحوال مآت الألف من الذين يرتبطون ـ و لو ربطاً يسيراً ـ برواية الحديث النبوى الشريف .

و إن هذه لميزة للأمة المحمدية لم تسبقها أمة من الأمم و لم يعترف بتلك الميزة المسلمون فحسب بل الآخرون المنصفون أيضاً لم يتمالكوا أنفسهـم إلا أن يعترفوا ، (مثلا المستشرق الشهير «اسبرنغر» فى مقدمته لـ «الاصابة فى تمييز الصحابة») .

و أما صيانة الحديث و حفظها فهو موضوع هام لا يكفى له مقال موجز فضلا عن صفحات .

وبحمد الله وعونه قد صنف حول هذا الموضوع العلماء البارعون ـ فى جميع اللغات ـ كتباً كثيرة ، وكذلك فى الأردية توجد عدة كتب، يأتى على رأس قائمتها الكتاب المعروف فى أوساط العلماء «تدوين حديث» للعالم الكبير مناظر أحسن الكيلانى (رحمه الله) المحاضر فى الجامعة العثمانية بحيدر آباد سابقاً .

وتكفى هنا الاشارة إلى أنه لم يبذل علماء القرون الأولى ـ خاصة فى القرن الثالث والرابع ـ جهودهم الجبارة ومساعيهم القيمة فى أى موضوع أكثر ما بذلوه فى صيانة الحديث و حفظه .

و نحمد الله على ذلك فان هذه السلسلة الذهبية باقية جارية حتى الآن إلى حد ما ، و لم تمض فترة من الزمن اهملت الأمة كلها صيانة الحديث .

و هل كانت هذه كلها رياضة عقلية و متعة نفسية فحسب ؟

كلا بل إن ذلك كله لم يكن إلا للحصول على النجاة الأخروية بالعمل بالسنة النبوية — على صاحبها الصلاة و السلام — .

من الفكر السياسى فى الاسلام :

تصور الدولة فى الاسلام و مصادرها الأساسية

—(٢)—

بقلم : فضيلة الأستاذ محمد خالد الندوى
أستاذ الحديث بدار العلوم لندوة العلماء
تعريب : محمد فهيم أختر الندوى

مفهوم الدستور :

كلمة « الدستور » تعنى القوانين العامة التى يتكون منها نظام أى حكومة ، كان يستخدم من قبل للتعبير عن هذا المفهوم كلمة « القانون السياسى » و الحقيقة أن كلمة « الدستور » ليست عربية ، بل هى فارسية ، معناها أساس و قاعدة ، و يوجد هذا المعنى اللغوى فى مفهوم كلمة « الدستور » اليوم ، لأن الدستور وثيقة أساسية تشتمل على الأصول العامة و القواعد الكلية ، و تعين مناهج الحكومة و مناهج الاقتصاد و الاجتماع فيها ، كما يحتوى الدستور على تفاصيل الأمور السياسية المتعلقة بالقيادة ، و على تشكيل السلطة السياسية و مقاصدها و واجباتها و تعيين السلطات الخاصة و قوانين المواطنة فى البلاد و الحقوق الانسانية و الحرية العامة .

أقسام الدستور :

للدستور نوعان :

الأول : ما هو مدون بشكل مكتوب ، و هذا يوجد فى أكثر بلدان المعمورة اليوم .

الثانى : ما هو غير مدون بشكل مكتوب كدستور بريطانيا ، و الدساتير الوضعية الرائجة اليوم فى شتى أقطار العالم تبتنى على الأعراف السائدة و القوانين

المدونة و أحكام القضايا ، و بعد هذا التفصيل يجدر بنا القول بأن دستور أى بلاد يكون وثيقة لها ، يلزم مواطنيها العمل بها ، و هذا المفهوم يوجد فى الدستور الاسلامى أيضاً .

الدستور الاسلامى :

إن الدستور الاسلامى فى الواقع تصوير صادق للحياة الاسلامية ، فانه يشتمل على أحكام النظام الاقتصادى و الاجتماعى و الادارى ، و على الحقوق و الواجبات ، و على أصول الحكومة و أسسها ، كما يحتوى على جميع تفاصيل الأحكام التى سنها الاسلام لجميع جوانب الحياة المختلفة، فالاسلام لا يترك صغيرة ولا كبيرة من جوانب الحياة إلا و يعطى فيها أحكامه و توجيهاته ، فلا يأتين فى ذهن أحد أن الدستور الاسلامى ليس إلا مجموعة عديد من قوانين الحدود و التعزيرات فحسب .

إن الدستور الاسلامى فى معناه الواسع هو القرآن الكريم الذى ظل دستوراً معمولا به طوال التاريخ الاسلامى من عصر النبى — ﷺ — إلى سقوط الخلافة الاسلامية ، وبعد المحاولات الاستعمارية والتبشرية وحدوث الانقلاب الثقافى عزل الدستور الاسلامى عن الحياة فى جميع البلدان الاسلامية ، ونفذت مكانه الدساتير الوضعية ، و لأجل انفصال الدستور الاسلامى عن الحكومة لم يتم أمر تدوينه على المنوال القانونى الحديث ، و مما لا شك فيه أن الدستور الاسلامى بأساسه يمتاز و يفوق الدساتير الوضعية الأخرى كلها بسبب أن الدساتير الوضعية تؤسس على أعراف الناس و أحكام القضاء و مجموعة القوانين فى حين أن الدستور الاسلامى مصادره القرآن الحكيم وأحاديث الرسول — عليه الصلوات و التسليم — و سنة الخلفاء الراشدين المهديين و مذاهب الفقهاء المجتهدين ، و هذه المصادر كلها

واضحة نقية، محفوظة من كل نقص و عيب و أهواء النفس الأمارة بالسوء، وهى متوافرة اليوم بشكل مكتوب، قريبة الاستفادة، سهلة التناول.

إن إقامة الدولة الاسلامية على أساس الدستور الاسلامى و تنفيذ أوامر الشرع فريضة دينية و ضرورة إنسانية، و من الميسور جداً تدوين هذا الدستور و ترويجه كما وقع فعلا فى بعض البلدان الاسلامية اليوم، ولا يغبين عن بال أحد أن الدستور الاسلامى إنما يعنى بالوجازة ذلك الاسلام الجامع، الكامل الشامل العادل الذى جاء من لدن الله تعالى، فلا يشارك هذا الدستور فى أفضليته دستور آخر، و الواقع أن هذا الدستور إنما هو دواء لجميع الأمراض و الأدواء المتزايدة يوماً فيوماً.

كلمة حول الدستور الاسلامى :

إن الدستور الاسلامى بلا ريب دستور إلهى، يتوخى المسلمون أن يتبنوه، لأنه وحده يضمن كل نوع من السعادة و الفلاح، و الأمن و السلام، و العدل و النصفة، يتمنى كل مسلم أن ينال القرآن الكريم مكانته فى الدستور كمكانته فى عصر أسلافنا الأقدمين.

و مما يعرفه الجميع أنه ليس شئ فى الدنيا إلا له مؤيدوه و معارضوه، فالدستور الاسلامى أيضاً يواجه من يعارضونه، وهم نوعان :

١— من يخالفون الاسلام و يتمنون زواله، ولا يعرفون عن الاسلام إلا نزراً يسيراً.

٢— من يرون فى تنفيذ الدستور الاسلامى خطراً على مطامعهم و أهوائهم و يخافون منه، نحن لسنا بحاجة إلى الرد عليهم، فانه قد مسخت فطرهم و طبع على قلوبهم و أعمت الأهواء أبصارهم.

وهناك نوع ثالث من الناس، نستطيع أن نحسن بهم الظن و نعتبر مخالفتهم

ناشئة من قلة الاطلاع على تعاليم الاسلام السمحاء و توجيهاته الرشيدة، هؤلاء يرون أن الدستور الاسلامى لا يستطيع مسايرة العصر المعاصر الراقى، فان كلا منهما يضاد الآخر، نحن نخاطب هؤلاء و نريد أن نزودهم بالحقيقة عن الاسلام حتى يتضح لهم الحق و يعرفوا أن ما يسميه الناس اليوم بالتقدم، ليس إلا تقهقراً، وما يعتبرونه سلما للرقى ليس إلا موضع انحدار فى الحضيض حيث تنال الانسانية أسوأ مصيرها و أوخم عاقبتها.

و الحجة على ذلك أننا نشاهد اليوم فى مشارق الأرض و مغاربها أنواعاً من الحوادث و الكوارث و ألواناً من الويلات و النكبات، و تمر بها البشرية جمعاء فى شتى مناطق العالم، تداس القيم العالية و الكرامة الانسانية الرفيعة فى أرقى بلدان العالم، و بلغ فيها الذل و الهوان لانسان اليوم إلى مبلغ يتندى فيه جبين التاريخ حياء، و الانسان الذى كان كرمه الله تعالى و فضله على كثير ممن خلق، تنازل عن مكانته المرموقة، و انغمس فى الشهوات و الفواحش إلى ذقنه، صدق قول الله تعالى :

« أولئك كالأنعام بل هم أضل ».

و أوضح دليل على هذا، ذلك القانون الذى أصدره برلمان بريطانيا فى شباط ١٩٦٦م حيث أجاز للناس بوجه عام اللواط بدليل أن النظام الفردى و الجماعى لا يتأثر بها، و هذا قليل من كثير.

و بعض الناس ابتلوا بوهم أن القوانين الاسلامية هى مجموعة قوانين الحدود و القصاص، وليس هذا بصحيح، لأن القوانين الاسلامية تعنى دستوراً للحياة، يشمل كل جانب من جوانب الحياة السياسية و الاجتماعية، ليكون بين الناس العدل و النصفة، و يشعر كل فرد بأن الله تعالى كرمه و شرفه بمنصب الخلافة فى الأرض، فهو ذو قيمة غالية، و صاحب شرف عظيم.

وكذلك ليس فى الدستور الاسلامى تلك النظرة السائدة فى الدساتير الوضعية اليوم ، و هى أن تنفيذ الدستور ينحصر فى أصوات الجماهير ، و ذلك لأن حق التشريع فى الاسلام بيد الشارع الحقيقى الرب جل وعلا فحسب ، و من أحسن من الله حكما ، قال الله تعالى لمن يرجو الله و اليوم الآخر :

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » (١)

و قال : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضل ضلالا مبيناً » (٢) .

واجبات عامة المسلمين :

إن واجب تنفيذ الدستور الاسلامى فى أى دولة إسلامية ليس على كواهل أفراد الدولة فحسب ، بل تعود هذه المسئولية على عواتق عامة المسلمين أيضاً ، و من مقدمة عامة المسلمين علماؤهم ولا يعذرون لدى الرب جل وعلا ، يقول الله تعالى :

« و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم و ساءت مصيراً » (٣) .

حاجة تدوين الدستور الاسلامى :

و إذا كان الدستور الاسلامى أكثر دساتير العالم شمولا و أهمية ، و أكثرها ضماناً لحقوق غير المسلمين ، كان من واجب كل فرد مسلم أن ينال أمر تدوين الدستور الاسلامى أكبر عناية و أكثر اهتمام منه ، و تبذل أقصى مجهودات بصورة اجتماعية فى هذا السبيل المبارك ، هذه الخطوة تكون فى الواقع مباركة

(١) الجاثية : ١٨ . (٢) الأحزاب : ٣٦ .
(٣) النساء : ١١٥ .

سعيدة ، لائقة بالتقدير و التشجيع ، و فى هذا سر سعادتنا نحن المسلمين و عزنا و شرفنا فى الدنيا و الآخرة ، فليكن هتافنا و شعارنا قول الله — جل وعلا — : « إن الدين عند الله الاسلام » (١) « و من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » (٢) .

مصادر الدستور الاسلامى :

لما فترت الهمم و انحطت قوة الذاكرة و استجدت قضايا حديثة منوعة ، قام العلماء بتدوين العلوم الشرعية ، و وضعوا عدة أصول و قواعد ، و جمعوا آراء الفقهاء و الخلفاء الذين كانت لهم كلمة مسموعة فى مجال السياسة و الحكومة ، و اجتنبوا كل الاجتناب عن أفكار أهل البدع و مؤامرات الأعداء للاسلام و آراء الفرق الضالة المختلفة التى ظهرت متسربلة بلباس الدين ، و من هذا كله سعدنا بالثروة الفقهية الغالية المكونة من اجتهاداتهم ، وهى منعدمة النظير فى الشمول على الأحكام العادلة المتزنة للقضايا الدقيقة ، لأنها كانت مستخرجة فى ضوء الأصول و القواعد الصحيحة الثابتة التى كان من أول مقاصدها صيانة الأركان الخمسة الضرورية للحياة البشرية ، وهى الدين و النفس و المال و العقل و النسل ، و شرعت لذلك أحكام تضمن محافظة هذه الأمور ، فعند مباشرة عمل تدوين الدستور الاسلامى لا بد من المراجعة إلى مصادره الأساسية .

نوعان لمصادر الدستور الاسلامى :

الأول منهما هو ما يشتمل على القرآن الكريم و الأحاديث النبوية و آثار الصحابة و اجتهاداتهم ، وهو موجود اليوم بشكل مكتوب ، و إليك بعض التفصيل لهذا النوع :

(١) آل عمران : ١٩ . (٢) آل عمران : ٨٥ .

١— القرآن كلام الله : وهو مصدر المصادر للدستور الاسلامى و ينبوع ينابيعه ، وهو أساس الدولة الاسلاميـة ، فلا يقبل أى قول أو عمل أو حكم أو اجتهاد أبداً إذا كان معارضاً لنصوص القرآن .

٢— الأحاديث النبوية : كل ما قاله — ﷺ — أو فعله أو قرره فهو حديث ، وهو شرح القرآن و تفصيل مجمله و تبيين مبهمه ، و القرآن الذى هو أساس الدستور الاسلامى ، لا يمكن العمل به بالاستغناء عن الحديث ، لأن كل ما حرمه رسول الله — ﷺ — هو كما حرمه الله تعالى .

٣— ثم اجتهادات الصحابة و أقوالهـم تحل محل الأساس للدستور الاسلامى ، لأنهم مشهود لهم بالخير ، و كانوا أقرب الناس إلى رسول الله — ﷺ — و أمر — ﷺ — باتباع الخلفاء الراشدين بعده فقال : «عليكم بسنتى و سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ » (١) .

و قد مدح — ﷺ — صحابته بما فيهم من خصائص و فضائل ، و كان بعضهم فائقين فى الفقه و العلم كعمر بن الخطاب و زيد بن ثابت و عبد الله بن عمر و عبد الله بن مسعود و أبى بكر الصديق رضى الله عنهـم أجمعين ، فآراء هؤلاء حجة عند أهل السنة و الجماعة ، وهى موجودة فى الكـتب الفقهية .

قسم الاجتهاد :

و النوع الثانى منهما قسم الاجتهاد ، وله جزءان :

١— تلك الثروة الفقهية التى انتقلت إلينا من الأئمة المجتهدين من أهل السنـة ، و هؤلاء كلهم عدول ثقات ، و أرفعهم مكانة الأئمة الأربعة ، و قد دونت آراؤهم فى الكـتب الفقهية .

(١) الترمذى .

٢— تندرج فى هذا القسم تلك الاجتهادات التى تعين فى استخراج الأحكام فى ضوء الدلائل ، نستطيع أن نعرفها بكتب الفقه و بالمؤتمرات الاسلامية التى يحضرها عباقرة العلماء و نوابغ المثقفين و المجتهدون الذين استكملوا شروط الاجتهاد .

لا يجوز لنا أن نترك هذا المعين فينضب ، فان ذلك يكون جموداً لارتقاء الأمة ، و تعطلا فى طريق نموها ، لذلك لا يجوز أن يخلو أى عصر من القاضى و المفتى و العـالم الذى يكون عارفاً بالحلال و الحرام بكل ما فيه من تفصيل ، ويكون ذا بصيرة تامة فى الفقه ، ومثل هؤلاء المجتهدين لا يلزمهم زى خاص أو هيئة خاصة أو شكل خاص أو انتساب إلى أسرة خاصة ، بل يدخل فى هذه الزمرة كل من كان عالماً ، سالكا مسلك الأسلاف الصالحين ، عارفاً بالقياس و الاستحسان و الاستصلاح و العرف ، مطلعاً على الشروط التى لا بد منها لتقييد العام أو الخاص ، و قد توجد هذه الشروط فى كتب أصول الفقه بكل تفصيل و إطناب .

و يجوز بهذا الصدد استخدام الوسائل الحديثة و الانتفاع بالتجارب الطويلة للاقوام الأخرى بشرط أن لا يؤدى ذلك إلى تضرر المصالح الشرعية أو تعطلها .

هذه هى مصادر أساسية يتشكل بها الدستور الاسلامى .

« يتبع »

من أعلام الأدب الاسلامى :

على أحمد باكثير

بقلم : السيدة سامية وفاء بنت عمر بهاء الأميرى

١ـ حيـــاته :

فى حضر موت جنوبى جزيرة العرب ، فتح على أحمد باكثير عينيه على نور الحياة و بين أحضان طبيعتها المتعددة الصور و الألوان بحراً و نهراً و أودية و جبالا و صحراء . . نشأ صاحب « ملحمة عمر » ، و ظهرت مواهبه الأدبية منذ طفولته : بدأ على أحمد باكثير يقول الشعر و عنده من العمر ثلاث عشرة سنة ، و استمر يصب جل اهتمامه عليه ، مطالعة و نظماً ، وهو يحدثنا عن نفسه أنه . . لم يترك ديواناً للأقدمين وقع تحت يديه إلا قرأه . . وكان مثله الأعلى فى شعراء الأقدمين « المتنبى » ، و فى الشعراء المحدثين « شوقى » . . غير أنه لم يطلع على شئ من مسرحياته حتى غادر بلاده إلى الحجاز و هناك اطلع عليها و كانت هى أول ما عرفه من هذا الفن المسرحى . . . (١) .

كان لاطلاعه على مسرحيات شوقى أثر كبير فى نفسه ، فلقد هزت أعماقه و أججت فؤاده ، و برهنت له على سعة آفاق الشعر العربى ، ومدى قدرته على التعبير عن مختلف المشاعر و الأغراض فى شتى ميادين الحياة . . وكان إذ ذاك ممتلئاً بالثورة على تخلف بلده حضرموت عن ركب الحضارة ، و بالسخط على الأوضاع الاجتماعية ، مضافاً إلى ذلك كله حزنه العميق و لوعته الدفينة لفقد زوجته الشابة فكان له من كل ذلك مادة حية غنية تخصب أحاسيسه وتدفعه إلى

(١) من كتاب : فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية .

الزيادة فى نظم الشعر ، يخفف به عما يضطرم فى نفسه من مشاعر و سورات و لواعج . . ويبدو أن اطلاعه على ذلك الفن الجديد من فنون الشعر ، حفزه إلى محاكاته ، فجعل أحاسيسه الداخلية مادة لموضوع هذه المحاكاة . . وكتب لنا أول مسرحياته الشعرية و سماها « همام أو فى عاصمة الأحقاف » ، وكان ذلك فى مدينة الطائف — قبل عام ١٩٣٤م — حيث يقضى فترة الصيف فيها بين طائفة من أدباء الحجاز ، ولقد شجعه على انجاز عمله هذا الأستاذ حسن محمد كتبى ، ولم يكن بعد ملما بفن المسرحية و لا أصول التأليف المسرحى إلماما علمياً ، و لذلك كانت مسرحيته عبارة عن قصائد ومقطوعات من الشعر ، بين رقيق وجزل يجمعها موضوع واحد ، ولا يمكن تسميتها مسرحية إلا تجوزاً ، لافتقارها إلى المقومات الأساسية للمسرحية من بناء و حركة وحوار و رسم شخصيات . . و يعترف بهذا باكثير نفسه إذ يقول : . . على من يريد التصدى لكتابة المسرحية أن تكون عنده موهبة بالاضافة إلى الالمام بأصول التأليف المسرحى ، سواء بدراستها فى الكتب . . أو عن طريق تأملها و تتبعها فى النماذج الصالحة من أعمال الكتاب المسرحيين . . (١) .

لقد أراد باكثير أن يجعل المسرح منبراً يبث منه رسالته ، و ينشر من خلاله دعوته ، ولهذا نراه يرد على قول بعض الكتاب والباحثين الذين يزعمون بأن الفن المسرحى لا يرجى أن يزدهر عندنا فى الشرق العربى ، كما ازدهر فى البلاد الأخرى ، لعدم استناده عندنا إلى جذور دينية عميقة . . فيقول : « إن هذا بعيد عن الحقيقة ، فالفن المسرحى و لو انبثق من الطقوس الدينية قديماً ، غير أنه أصبح مستقلا عنها منذ زمن بعيد بأصوله و قواعده و مواضيعه المختلفة

(١) المصدر السابق .

التى لا صلة لهـا بالدين . . . و هو فن اقتبسناه من الغرب كغيره من الفنون الأدبية . . و سيزدهر عندنا حتماً على قدر اهتمامنا به و احتفالنا له . . و هناك فرق كبير بين القول بأنه لم يزدهر بعد لحداثه عهدنا به ، و بين القول بأنه لا يرجى له الازدهار فى المستقبل . . و أكبر برهان لكلامنا وجود مسرحيات أصيلة لا يقل مستواها كثيراً عن مستويات المسرحيات العالمية . . . و إذا كان عددها قليلا اليوم ، فاننا نرجو أن يكثر فى المستقبل ، و خاصة إذا بذلت رعاية أكثر لتشجيعها . . (١)

وهذا يدلنا على ما كان يعترض المسرح فى نشأته الأولى من عقبات ومشكلات مما دفع باكثير إلى الدفاع عنه ، وإلى الدعوة إلى تشجيعه و الرفع من مستواه ، و لعله وجد خير سلاح لذلك أن يقدم بنفسه المثال الجديد الذى يتلاءم وذوق الشعب ، و يجذبهم إليه ، فيشجع الكتاب المسرحيين الآخرين ليحذوا حذوه ، و يسيروا فى طريقه . .

ولكن باكثير لم يقف هذا الموقف الجدى ، إلا بعد أن تعمق فى الأدب المسرحى دراسة وبحثاً و تمحيصاً وإبداعاً . . فهو لم يقلد ولم يحاك ، و إنما استفاد و أضاف وجدد ، وقدم لنا فى كتابه « فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية » رأيه فى الفن المسرحى عامة ، و عرض لنا عناصر التأليف المسرحى ، و هـذا ما لا مجال لبحثه فى موضوعنا . .

و ما دام باكثير يهدف من وراء مسرحياته إلى أغراض معينة ، فاننا نتساءل : هل يصلح أن يكون الكاتب المسرحى داعيـة لفكرة خاصة ، يستوحى من ممارسة لها موضوعاته ، و تعتبر مسرحياته أعمالا فنيـة ؟ و يرد على سؤالنا

(١) المصدر السابق نفسه .

هذا باكثير نفسه إذ يقول : « طبعاً نعم ، و الدليل واضح ، و كثيراً ما نراه فى الأعمال الفنيـة التى كتبها أصحابها ليبشروا بفكرة خاصة ، كبرناردشو و ابن وجان بول سارتر . . . و غيرهم كثير ، كانوا قد كتبوا مسرحيات ناجحة كلها مستوحاة من حماستهم المتوقدة للاصلاح الاجتماعى و السياسى سواء كان قومياً أو عالمياً ، ولم يعبها أو يقلل من قيمتها الفنية أنها كانت مسرحيات هادفة أو قائمة على دعوة . . . » (١) ويستطرد باكثير فيقول : غير أن على الكاتب أن يجعل الداعية فيه خادماً للفنان المسرحى لا سيداً له . . . » (٢) .

و من خلال تجوالنا القصير فى حياة على أحمد باكثير الأدبية يتجلى لنا فيها الشاعر المجد المطلع ، الذى شق الطريق للشعر المرسل ، و المؤلف المسرحى المصلح ، والطموح دائماً إلى المعرفة و التقدم ، فلم توهنه مصائب الحياة ومشاكلها العامة و الخاصة عن السير قدماً للوصول إلى مبتغاه ، بل وقف صامداً أمام كل مشكلة تواجهه ، بايمان راسخ و عقيدة ثابتـة ، و ثقة ، فى النفس ، و سعى دائب مستمر . . .

٢— مؤلفاته :

منذ وعى باكثير نفسه ، و هو يعب من مناهل العلم و الثقافة العربية ، و لم يكتف بها بل درس الأدب الانكليزى لما يقدر من ثروته و غناه و كانت اهتماماته متعددة ، و آماله كبيرة ، فأخرج لنا نتاجاً أدبياً ثراً ، مختلف الألوان ، متعدد المواضيع . . . . و لقد استطعت بعد البحث والتنقيب الحصول على قائمة لمؤلفاته ، التى يبلغ عددها ثمانية وأربعين مؤلفاً ، بالاضافة إلى الملحمة الاسلامية الكبرى التى هى موضوع بحثنا ، و إننى لا أجزم أن ما لدى هو كل ما كتب

(١) المرجع السابق نفسه . (٢) المرجع السابق نفسه .

باكثير، ولكن هذه حصيلة جهدى، وسأورد أسماء هذه المؤلفات فى نهاية البحث.

إن المتتبع لنتاج على أحمد باكثير يستطيع أن يستشف بوضوح اهتمامه الكبير بالقومية العربية، و أثر ذلك فى ولوعه بالتاريخ و استلهامه لموضوعات كثير من مسرحياته..

فى مسرحية « الزعيم الأوحد » التى يقدم لها الأديب العراقى « هلال ناجى » نلمس غيرة باكثير و عروبته و وطنيته الدفاقة..

كتب باكثير هذه المسرحية فى عام ١٩٥٩م فى وقت كانت العراق تتخبط فى حرب شعواء وسط التيارات المتضاربة و التناقضات السياسية التى ما فتئ الاستعمار بكل أجنحته و ألوانه، يورط البلاد العربية فيها بشكل أو بآخر.. و كان الأدباء الشيوعيون و الشعوبيون يشنون هجمات منكرة على العروبة و مفكريها و الداعين إليها..

فى تلك الفترة السوداء أسهم باكثير بعمله المسرحى ذاك، فكان إسهامه — كما قال هلال ناجى — : « يمثل قمة، من قمم الايمان القومى الأصيل، و يعبر عن الوجدان العربى المتفتح، المتجاوب مع آلام هذه الأمة فى أرجاء وطنها الكبير ... » (١).

و نرى أن باكثير ينتهى فى بعض مسرحياته إلى نتائج يستبق بها حوادث التاريخ مما يدل على بعد نظره السياسى، و أنه ليعتز بذلك و يشير إليه و كأنه يراه دليلا على عمق إيمانه أخذاً من قول رسول الله ﷺ : اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ».

و قد ذكر ذلك خاصة فى مقدمة مسرحيته « الزعيم الأوحد » يقول :

(١) تقديم مسرحية الزعيم الأوحد لعلى أحمد باكثير.

« ... ليرى القراء و يعجبوا كيف أن الأقدار اختارت للزعيم الأوحد فى عالم الواقع نفس النهاية التى رسمتها له المسرحية منذ أكثر من ثلاثة أعوام ... ».

كما ذكر بشكل لافت للنظر فى الصفحة الأولى من مسرحيته « امبراطورية فى المزاد » تحت عنوان ملحوظة : « مؤتمر دلهى الذى تنبأت به هذه المسرحية قد تحقق فى مؤتمر باندونج، و قد كتبت هذه المسرحية قبل انعقاد مؤتمر باندونج بثلاثة أعوام ».

و فى نهاية مطافنا بمؤلفات على أحمد باكثير نرى أنه أخذ من كل لون من الفنون الأدبية بطرف، فكتب لنا الملهاة فى « امبراطورية فى المزاد ... » وكتب لنا المسرحية الشعرية « قصر الهودج، أخناتون ونفرتيتى ... »، وترجم لنا بالشعر المرسل عن شكسبير « روميو و جولييت »، و كتب لنا القصة « سلامة القس وا إسلاماه وليلة النهر ... »، و كتب لنا مجموعة تمثيليات منها إسلامية « هكذا لقى الله »، و منها مسرحية « مسرح السياسة »، و منها عامة « الشاعر و الربيع »، و كتب لنا المأساة « مأساة زينب » ... هذا بالاضافة إلى محاضراته و إلى كتابته فى أنواع أخرى من هذا الفن، كالمسرحيات التى تهدف إلى الاصلاح الاجتماعى « الدنيا فوضى ... »، و بقية المسرحيات و القصص التاريخية..

و يطالعنا فى مقدمات الكثير من مؤلفاته، بأنواعها المختلفة، افتتاحه لها بآيات قرآنية تنسجم و الموضوع الذى يتطرق إليه.. و هذه الروح الاسلامية و الايمان العميق يعلل لنا وطنيته و عروبته و اهتمامه بأمر المسلمين فى أرجاء الوطن العربى... و يذكرنا هذا بقول الرسول الكريم : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ».

٣ــ مقام ملحمة عمر بين مؤلفاته :

تحتل « ملحمة عمر » مكان الصدارة بين مؤلفات على أحمد باكثير ، كماً وكيفياً . . . فلقد كتبها فى أخريات حياته ، بعد أن نضج تفكيره ، و ارتفع مستوى إنتاجه ، و تزود من تجاربه خلال أكثر من نصف قرن ، بحصيلة كبيرة من الثقافة و المعرفة . . وكانت اتجاهاته الأدبية قد تبلورت واستقرت . . ولهذا فان ميوله و أهدافه تظهر لنا واضحة فى أثره هذا الذى جعله زبدة حياته ، ومسك الختام لمؤلفاته . .

أول ما يستقبلنا فى « ملحمة عمر » ضخامة حجمها ، فهى مؤلفة من ثمانية عشر جزءاً ، و لم يسبق للمؤلف أن كتب أى أثر من آثاره بهذا الحجم ، بل و ما أظن أن أحداً من الكتاب العرب قد سبق و كتب مسرحية أو ملحمة على هذه الشاكلة .

هذا من ناحية شكلها ، أما مضمونها ، فلقد استلهم باكثير موضوعها من التاريخ لولوعه به و تفصيله على سواه فى كثير من مسرحياته و قصصه ، و يفسر لنا باكثير ولوعه هذا إذ يقول : « . . . إن الفن عموماً و المسرحى بخاصة ينبغى أن يقوم أكثر ما يقوم على الرمز و الايحاء ، لا على التعيين والتحديد ، فتكون الحقيقة أوسع و أرحب من الحقيقة التى يمثلها الواقع . . و أحداث التاريخ تعين الكاتب على بلوغ هذه الغاية أكثر مما تعينه أحداث الجيل المعاصر . . لأن أحداث التاريخ قد تبلورت عــلى مر الأيام فاستطاعت أن تنزع على الملابسات و التفاصيل التى ليست بذات بال من حيث الدلالات التى يتصيدها الكاتب للوصول إلى الهدف الذى يرمى إليه فى عمله الفنى . . . » (١) .

(١) من كتاب المؤلف : « فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية » .

إن قوله هذا يؤكد لنا ، وضوح أنه يرمى من وراء أى عمل فنى إلى هدف يريد تحقيقه ، و لن يستطيع الوصول إلى هذا الهدف إلا باستخدام أكثر المواضيع رحابة وسعة و بعداً عن العنعنات و الأغراض الشخصية ، و قد وجد فى التاريخ ضالته المنشودة .

ولكن التاريخ واسع ، ومجالات الاختيار فيه أكبر من أن تحصر ، فلماذا اختار شخصية عمر بن الخطاب بالذات ؟ إن كانت وجهته إسلامية فهناك العديد من الشخصيات الاسلامية الفذة ، فلماذا لم يختر سواه ؟ .

الجواب طويل ، و لست بصدد تبيان مزايا الفاروق أبى حفص بالذات و إنما أريد أن أشير إلى أن باكثير كان يشعر بالأخطار الخارجية التى تهــدد الأمة العربية فى حاضرها و مستقبلها ، أكثر من شعوره بالأدواء الداخلية التى تفت فى عضدها وتقعد بمجتمعها عن مسايرة ركب الحضارة ، و كأنه كان يشعر أنه لا ينجى هذه الأمة إلا رجوعها إلى دينها أولا ، و اجتماع كلمتها و اتحادها ثانياً ، لتكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، و أخيراً أن يتولى أمرها حازم عادل ، لا تحول شدته دون رحمته ، ولا يمنعه تشبثه بعقيدته من الاجتهاد لأمته ، ووجد كل هذه الصفات مجتمعة فى شخصية ابن الخطاب رضى الله عنه . . .

لقد كان سيدنا عمر (رضى الله عنه) الحاكم العادل ، و القوى الأمين ، و العطوف الرحيم . . تولى الخلافة و جيوش المسلمين على أسوار دمشق ترد هجمات الروم عنها ، و الفرس يترصدون للمسلمين من جهة العراق لشن هجماتهم عليهم . . فكانت الأخطار الخارجية تتهدد الأمة الاسلامية آنذاك و هى ما تزال حديثة عهد بالاسلام ، وحديثة عهد بانتقال رسول الله العظيم النبى الكريم صلاة الله عليه وسلامه ، فكانت هى الأخرى تعانى من مشكلات و أزمات داخلية . .

فرأى باكثير بنظره الثاقب وجوه تشابه بين الحقيتين . و لكن شتان بين إيمان هؤلاء ، و إيمان أولئك . . فأراد أن يضع بين يدى أبناء أمتـه ، صورة من أمجاد أجدادهم و يورد لهم ما تحملوا من مشاق ومخاطر و صعوبات ، وإنهم لم يرتفع شأنهم وتسمو مكانتهم بين الأمم إلا بعزيمتهم الصادقة ، وإيمانهم القوى ، و يقينهم العميق بأن الله لن يخذلهم ما داموا معه يتبعون هـداه : « و لينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . . . » (١) .

و لننتقل إلى ناحية أخرى : من التاريخ . . إلى اللغة و ما بينهما من ارتباط ، إن من المذاهب الحميدة التى كان يتميز بهـا باكثير أنه كان من أنصار تعميم اللغة الفصيحة فى المسرح كافة ، سواء كان مترجماً أم تاريخياً أم عصرياً ، و ذلك - كما قال - « ليتكون عندنا تراث من الأدب المسرحى يعتز به و يخلف للاجيال القادمة . . . » (٢) و لكن مشكلة اللغة كانت ما تزال قائمـة بالنسبة لاستخدام اللغة الدارجة فى المسرحيات العصرية ، مع الأسف — و هذا من الدواعى التى دفعته إلى تفصيل التاريخ على سواه ، بالاضافة إلى الدوافع الرئيسية التى ذكرناهـا . .

و هكذا قدم لنا باكثير هذا النتاج الدسم ، بمبناه ومعناه ، ومادته ولغته ، وسبق فى هذا العمل الضخم الجامع للكثير من المزايا ، أدباء الأمة العربية ، فسد به فراغا كبيراً فى إنتاجنا المعاصر ، و أخصب للمستقبل تراثنا الأدبى الذى نرجو أن تستمر الأجيال الصاعدة تنهل من معينه و تزيد فيه . . .

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٤٠ .

(٢) فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية .

بركة (أم أيمن)

بقلم : الأستاذ محمد حسن بريغش
عضو رابطة الأدب الاسلامى العالمية (الرياض)

فى هذا العصر تبرز لنا وسائل الاعلام صوراً عديدة من النساء ، و لكن أهم ما تبرز لنا منهن ، أولئك اللواتى عرفن بامتهان الفن من رقص أو غنـاء ، أو تمثيل ، أو من اللواتى قدمتهن شركات الدعاية و العرض فى مجالات الأزياء ، و الدعاية للملابس ، و أدوات الزينة و التجميل .

أو من اللواتى جعلت منهن المجلات بطلات للمغامرات الغرامية ، و الصلات الجنسية .

و قلما نجد المرأة فى مجال من مجالات العلم ، أو الابداع الحقيقى المفيد للمجتمعات ، أو المؤثر فى مسيرة التقدم .

و لا أقول إن المرأة لا تستطيع الابداع فى شئ أو أنها لم يعد لها فى مجالات الفضائل نصيب ، أو أن الحياة نضبت ، فلم نعد نسمع بأسماء الفضليات و الداعيات و المجاهدات .

و لكن الظاهرة التى تلفت الأنظار ، أن الصورة التى غدت عليها المرأة ليست بالصورة الحقيقية التى يمكن لها أن تكون ، و ليست بالصورة التى أرادها الله لها ، لأن الذين يقفون وراء تطور الأحداث فى هـذا العصر ، لا يريدون للمرأة أن تأخذ مكانها الحقيق ، و لا يريدون للمرأة أن تكون شريكة للرجل فى تحمل أعباء الحياة ، و القيام بأمانة الاستخلاف فى الأرض ، بل أرادوا لها أن تظهر فى زاوية الاغراء و المغامرات ، و فى مواقع الاثارة و الثورة ، و فى صورة المنافس للرجل ، و الداعى للتحرر من كل قيد . .

وتاريخنا الاسلامى مليئ بصور النساء الكريمات، النساء المؤمنات الطاهرات اللواتى برزن فى مواطن الفضل و العلم ، و فى مساحات الجهاد و الفداء ، و فى مسيرة الدعوة إلى الله ، و فى اللحظات التاريخية الحرجة التى يتقرر فيها مصاير ، أو يفترق الناس فيها إلى طرق .

و لكن هذه الصور غابت عنا ، أو غاب كثير منها ، و أصبحت عند بعضنا حكايات للسمار ، وذكريات لتسلية الصغار ، ولم تعرض سير هؤلاء النسوة بصورة حية تقف أمامها نساؤنا للتأمل و العبرة و الاقتداء ، و حرى بنا ، حرى بالذين يحملون راية الدعوة إلى الله ، و العودة إلى تحكيم الاسلام أن يلتفتوا إلى ذلك حتى تنهض المرأة - و هى تقف فى منعطف خطير - لتحمل مسؤوليتها العظيمة ، لا سيما و أنها أضحت موطن الاغارة على مجتمعاتنا ، و وسيلة الفتنة لأجيالنا ، بعد ما استطاعت المدنية الغربية غزو بيوتنا بوسائل الاعلام و الدعاية (بالراى ، و الفيديو ، و الراديو ، و المجلات ، و الجرائد ، و بيوت الأزياء ، و محلات الاغراء . . الخ) .

و أصبح هذا الجانب أخطر الجوانب ، الذى ينفذ منه أعداء الله إلى بيوتنا و أجيالنا . . .

و لهذا أرى أنه من سبل تحصين مجتمعنا و بيوتنا وضع الصور المشرقة لنسائنا - أمامهم - و عرضها بصورتها الواقعية لكى تساعد على إنارة السبيل ، و دفع الرياح المسمومة ، ورفع منارات الاقتداء و الهداية فى الطريق الطويل .

نتناول اليوم واحدة من الصحابيات الكريمات اللواتى لم يتحدث عنهن التاريخ إلا بشئ يسير ، و لعل المهم فى حياة هذه الصحابية أنها كانت تعيش فى زاوية بسيطة من زوايا المجتمع قبل أن تسلم ، فلنتابع صورة هذه الصحابية إذن .

اسمها : بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو ابن النعمان ، و كان يقال لها أم الظباء (١) .

قال ابن أبى خيثمة : حدثنا بن أبى شيخ قال : أم أيمن اسمها بركة ، و كانت لأم رسول الله ﷺ (آمنة بنت وهب فى الجاهلية) و كان رسول الله ﷺ يقول : « أم أيمن أمى بعد أمى » (٢) .

و قال الذهبى عنها أنها من الحبشة ، و كانت مولاه لرسول الله ﷺ ، ورثها من أبيه ثم أعتقها عند ما تزوج بخديجة (٣) .

و قال أبو نعيم : قيل : كانت لأخت خديجة موهبتها لرسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأعتقها .

و أخرج البخارى فى تاريخه و مسلم و ابن السكن من طريق الزهرى قال : كان من شأن أم أيمن أنها كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب والد النبى ﷺ ، و كانت من الحبشة فلما ولدت آمنه رسول الله ﷺ ، بعد ما توفى أبوه ، كانت أم أيمن تحضنه حتى كبر (٤) .

من هذا نستنتج أن أم أيمن بركة - كانت واحدة من الموالى اللواتى عشن فى مكة ، لا شأن لهن إلا خدمة البيوت و طاعة السادة الذين يملكونهن ، فهى خادمة ، و أنها حضنت رسول الله ﷺ وحنت عليه بعد وفاة أمه ، و لذلك

(١) الاصابة ٨—١٦٩ ط دار نهضة مصر تحقيق على محمد البجاوى .
(٢) المصدر السابق ، و عن ابن سعد أيضاً مثل ذلك .
(٣) سير أعلام النبلاء (٢—٢٢٣) مؤسسة الرسالة تحقيق الأرناؤوط و آخرين و كذلك فى الاصابة ٨—١٦٩ .
(٤) الاصابة ، دلائل النبوة (ط دار الكتب العلمية تحقيق د/ عبد المعطى قلعجى (١—١٥٠—١٥١) و (٤—٢٨٨) .

أعتقها بعد زواجه من أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ، و ظل يكرمها و يرعاها و يقول : « أم أيمن أمى بعد أمى » (١) وفاء لها و براً و إكراماً .

بل و تقول بعض السير أنها كانت مولدته (دايته) أيضاً (٢) ، وكذلك ورد أنه كان يقول لها « يا أمه » ، و إذا نظر إليها يقول : « هذه بقية أهل بيتى » (٣) .

و هكذا لم تكن إلى ذلك الحين سوى مولاة تخدم الصغار و الكبار و لا تطمع بأكثر من علامة رضا و قبول من سادتها .

و جاء الاسلام فآمنت مع من آمن فى بداية الدعوة ، و كانت واحدة من الاوائل الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ فى وجه طغيان قريش و عنادها و إيذائها لرسول الله ﷺ و لمن معه من المسلمين .

تزوجها عبيد بن الحارث الخزرجى ، و رزقت منه بابنها أيمن الذى صحب رسول الله ﷺ ، و شهد معه المشاهد حتى استشهد يوم حنين (٤) حيث كان

(١) المصدر السابق .

(٢) جوامع السيرة لابن حزم ص ٢٧ دار نشر الكتب الاسلامية ، لاهور باكستان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، و الدكتور ناصر الدين الأسد ، و مراجعة الأستاذ أحمد محمد شاكر ، و كذلك أعلام النساء لرضا كحاله ١—١٢٧ ط ١٣٩٧هـ—١٩٧٧م مؤسسة الرسالة .

(٣) سير أعلام النبلاء ، و الطبقات الكبرى ٨—٢٢٣ .

(٤) جوامع السيرة ، وجاء فى الاصابة أنه استشهد يوم خيبر ، وورد فى الاصابة أن أيمن بن أم أيمن قد ثبت مع رسول الله ﷺ هو و على بن أبى طالب ، و العباس بن عبد المطلب ، و أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب و ابنه ، و الفضل بن العباس ، و ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب و أسامة بن زيد .

واحداً ممن ثبت مع رسول الله ﷺ بعد ما فاجأ المشركون جيش المسلمين من الجبال ، و فر كثير منهم حتى وقف رسول الله و أمر عمه العباس أن ينادى المسلمين ، فعادوا و ثبتوا ، و انتصروا باذن الله على المشركين .

ثم زوجها رسول الله ﷺ بعد الاسلام لحبه زيد بن حارثة الذى اعتقه ، فرزقها الله منه أسامة بن زيد حب رسول الله و ابن حبه أيضاً .

وكانت أم أيمن تلطف النبى - وتقدم عليه - فقال : من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن فتزوجها زيد بن حارثة (١) .

لم يكن إسلام أم أيمن نطقاً بالشهادتين ، و تصديقاً لما يقوله رسول الله ﷺ فقط ، و إنما كان إيمان من يوقن بأن الله سبحانه و تعالى خالق الخلق ومدبر الكون ، وهو الرزاق ذو القوة المتين ، الذى بيده الموت ، و إليه المصير ، ولهذا فلم يلبث إيمانها أن تحرك ليكون قوة دافعة تمنحها العزم و الصدق والثبات و تدفعها لنشر الحق ، و التبشير بدعوة الله فى الأرض ، و لذلك هاجرت إلى الحبشة مع من هاجر من المسلمين (٢) و كذلك هاجرت إلى المدينة بعد هجرة رسول الله ﷺ حين أرسل رسول الله زيد بن حارثة و معه أبو رافع مولاه ، و أعطاهما بعيرين و خمسمائة درهم ، فذهبا إلى مكة ، و جاءا بفاطمة بنت رسول الله وعائشة ام المؤمنين ، و أم كلثوم وسودة ، و أم أيمن ، وأسامة (٣) .

(يتبع)

(١) الاصابة ٨—١٧٠—١٧١ عن عبد الله بن موسى قال أخبرنا فضيل بن مرزوق عن سفيان بن عيينة (و هذا الحديث رجاله ثقات لكنه منقطع) سير أعلام النبلاء .

(٢) أعلام النساء لرضا كحاله ١—١٢٧—١٢٨ . وسير أعلام النبلاء ٢- ٢٢٣ .

(٣) حياة الصحابة ٢/٢٢٤ .

صور و أوضاع :

عصر الظلام و عصر النور

واضح رشيد الندوى

لكل عصر خصائص و مميزات يعرف العصر بها ، و يتصف الناس فى ذلك العصر بتلك الخصائص ، و تنتشر فيه عادات ، و ميول ، و أفكار و تصورات خاصة ، و توجد انفعالات ، و ردود فعل خاصة لها ، لأن لكل انفعال باعثاً ولكل رد فعل دافعاً ، مثلا إذا كان يوجد فى مجتمع قهر ، وإكراه ، واستغلال لضعف الانسان يوجد رد فعل له ، وهو العناد ، والطغيان ، والتمرد ، والميل إلى الرفض كما يوجد الخنوع والكبت وعلماء العصر الحديث يعتقدون بردود الفعل اعتقاداً واسعاً ، ويذهب بعضهم إلى البحث عن السبب أو الباعث لكل عمل .

و قد عرفت عدة عصور فى التاريخ بأحداثها و أشخاصها الذين صنعوا هذه الأحداث ، فمثلا يوصف بعصر الظلام العصر الذى كانت أوربا فيه تحت وطأة الكنيسة ، و كان العلم و البحث الحر فيه كالشجرة الممنوعة و كانت أوربا تحت حكومات مستبدة تحكم باسم الدين ، و كانت الحروب ظاهرة فاشية ، و كان المجتمع موزعاً بين طبقات ، وكان الفقر والجهل فاشياً ، عرف هذا العصر بعصر الظلام ، وفى نفس العصر كان المسلمون يحملون لواء العلم وكانت الأمة الاسلامية تنجب فلاسفة ، و حكماء ، و ساسة ، و أطباء ، يعتز بهم التاريخ ، و كانت تنجب حكاماً يقومون ببناء امبراطوريات ، و كان المسلمون قوة عالمية يغيرون مجرى التاريخ ، و كان الناس فيه يتذاكرون العلم و يحلون المشاكل ، فكان هذا العصر فى نظر المسلمين عصر النور و العلم و الدين .

و جاء عصر الانفتاح ، فتغلبت أوربا على مشاكلها ، بعد أن دخل رواد العلم فى مدارس المسلمين سراً ، و تعلموا ثم نقلوا العلم إلى بلدانهم و نشأت حركة علمية ، و انتشر العلم بعد قرون ، فعرف هذا العصر بعصر النور ، وعصر العلم فى أوربا ، ثم جاء عصر التكنولوجية ، وعمت الصناعة و اكتشفت مجالات جديدة بتسخير العلم و تدفقت الوسائل ، و انتشرت الثروة .

كذلك يعرف التاريخ الماضى بعصور ، باعتبار السمة السائدة لذلك العصر ، فيعرف مثلا عصر ، بعصر الحجر ، و عصر بعصر البرونز ، و هكذا هناك تقسيمات كثيرة ، باعتبار الأحداث ، و الأحوال ، و الزعماء و القادة ، و الأسر الحاكمة .

و إذا فكر أحد فى سمة هذا العصر الذى نعيش فيه ، و أراد أن يطلق عليه اسماً يعبر عن خصائصه ومميزاته ، لما وجد كلمة أحسن من التورية ، أو بتعبير أكثر صراحة ، الدجل .

يقال إن الفتنة إذا كانت عظيمة ، تبدأ آثارها قبل قرن أو قرون و يسير الزمان رويداً إلى تلك الفتنة ، ولدنو هذا العصر من فتنة الدجال بدأ الدجل يسرى فى النفوس ولا يزال يرتقى ، ويتفنن الناس فيه و يظهر الدجل بأشكال جديدة .

هناك دجل فى العلم ، دجل فى السياسة ، دجل فى الاقتصاد ، دجل فى الأخلاق ، و المعاملات ، دجل فى التعليم ، و دجل فى الاعلام ، و قد عرفت الحروب بالمكر والخديعة ، ولكن الحروب فى هذا العصر تعرف بالدجل كذلك .

و قد قاد هذه الحركة ، أى حركة الدجل العلماء الأوربيون ، و وضعوا نظمهم كلها على أساس الدجل ، ظهر هذا الدجل أولا فى بحوثهم العلمية ، إنهم ادعوا بالموضوعية ، و اتخذوا الموضوعية وسيلة للتحريف ، والتزوير ، فى العلم ، و اختاروا نظماً للحكم وهى عبارة عن الدجل ، فيظهر هذا الدجل فى الانتخابات

و فى اختيار أعيان الحكومة ، فى اختيار القادة ، و فى تطبيق السياسة ، و فى الاحتفاظ بالمناصب ، و منح الشرعية للحكم ، و دخل هذا العنصر فى المذاهب الفكرية أيضاً ، و المصطلحات الحديثة ، و توسعت دائرته بطريق مذهل .

ولا يصعب على أحد أن يدرك طبيعة الدجل فى حياته، فمثلا الحكومات الجمهورية الشعبية ، هى الحكومات الاستبدادية التى يستولى عليها طغاة ، و جبابرة يفرضون على شعوبهم إرادتهم ، و كل جمهورية شعبية فى هذا العصر فى أى بلد كان ، تتميز بهذه السمة ، انتخاباتها مزورة ، محاكمها صناعيـــة ، صحافتها مموهة ، و رئيسها طاغية يستبد بالأمور .

أجهزة الأمن فيها هى أجهزة مطاردة الشعب ، تصطاد المعارضين ، و تقوم بتعذيبهم ، و تعتدى على السكان الأبرياء ، و يقتحم رجالهـــا بيوتهم فى الليل ، فأصبحت هذه الكلمة أى كلمة الأمن مخوفة فى بعض البلدان بحيث إنه إذا قال أحد « الأمن » فر الناس و أغلقوا أبواب بيوتهم ، و خافوا على أنفسهم كأن شيطاناً أوغولا يطاردهم .

كانت المعاهدات فى الماضى لها قدسية ، فكان الانسان إذا تكلم و وعد قال إنه اعطى لسانه ، فهو ملتزم ، ويغار عليه ، و كان نقض العهد إثماً ، وعاراً و لكن المعاهدات اليوم لا قيمة لها إنها وسيلة للخداع ، و هى كما قال أحـــد « كلام الليل يمحوه النهار » فلا حرمة للسان ، ولا حرمة لكتاب ، حتى الايمان لا قيمة لها ، و قد خرق بعض الزعماء فى هذا العصر عدة معاهدات ، بدون سابق إنذار ، وصاروا أبطالا ، بخرق المعاهدات ، كذلك الكذب ، فن من الفنون المعـــاصرة فى عصر الدجل ، ويشكل الكذب عنصراً أساسياً للسياسة المعاصرة . و تعرف بالكذب القابلية الدبلوماسية للانسان .

لقد شهد هذا العصر طغاة وجبابرة ، عرفوا بطغيانهم و جبرهم و قهرهم ، وتنعمهم بثروة الدولة ، بعد سقوطهم ، لكنهم كانوا أثناء حكمهم أصدقاء الشعب ، و حريصين على سعادته ، و قد ظهر ذلك بجلاء خلال سقوط الحكام فى أوربا الشرقية ، و يثبت ذلك الوضع فى الاتحـــاد السوفيتى ، و يوغوسلافيـــا ، و ألبـــانيا الآن .

و قـــد أفادت التقارير الصحفية عن بعض حكام الدول الاشتراكية فى عالمنا الاسلامى الذين يحاربون النظم غير الاشتراكية و الملكية ، بأنهم كدسوا ثروات طائلة فى بنوك الدول الأوربية ، و أنهم يعيشون حياة لا يتصورهـــا الملوك و يتمتعون فى جمهورياتهم الشعبية بحقوق استثنائية لا يتمتع بهـــا الملوك ، و لكن كل ذلك يتم بالدجل ، أى بموافقة البرلمان ، ومجلس الوزراء ، والبرلمان يتكون من أعضاء لا يقدرون عـــلى إبداء رأيهم بحرية فيصدقون كل ما يأتى إليهم ، و مجلس الوزراء يتكون من وزراء لا يعرفون مصيرهم إذا خالفوا أمر القائد و الرئيس .

كذلك الجمهور ، فى هذه الدول فى وضع مربك ، يساق إلى الحشود ، و ميـــدانات التحرير ، و المسيرات الشعبية ، كما كان يساق العمال فى عهـــد الفراعنة ، أعلامهم من الكرباج ، فيصفقون ، و يهتفون بحياة الرئيس ، وقلوبهم تلعنهم و لو أطلقت الحرية لهم لهتفوا بسقوط ذلك الحـــاكم فى أول فرصة مواتية لهم .

و الصحف ، و الاذاعة التى وظيفتها الاعلام و الاخبار و التنوير ، تعمل عمل التحوير ، و التزوير ، و التعتيم ، فلا يعلم أحد ما هى الحقائق و الوقائع ، وخاصة من صحف بلاده و اذاعة بلاده فيسمع كل مواطن اذاعة لبلد عدو بلده لمعرفة الحقائق ، و يحرص على أن تتاح له فرصة لمطالعة ما ينشر فى غير بلده .

و قد عرفت الاذاعة البريطانية هذه الحقيقة ، فوسعت دائرتها ، و مكنت اذاعتها من أن تصل إلى كل بـلد ، و خاصة البلدان التى تعيش تحت طغاة وجبابرة يحاكمون شعوبهم بجمهورياتهم الخانقة .

و الاذاعة البريطانية تذيع الحقائق و تنقب عنها فيما يتصل بالبلدان الأخرى ، و لكن الأحـداث فى داخل البلاد ، فلا تفسح الاذاعة البريطانية مجالها لها ، و لمعرفة ذلك يجب عـلى السكان أن يسمعوا اذاعة موسكو ، أو صوت أمريكا .

هكذا المعونات الإنسانية ، و التى تقدمها الدول الكبرى ، و المعونات الدفاعية ، إنها ملوثة ، أو مربوطة بأمور غير إنسانية وغير دفاعية و أحياناً تجلب هذه المعونات ويلات للدول التى تتسلمها .

و التقدم كذلك فى العصر دجل كبير ، فانه يعنى كعادة هـذا العصر ، الرجعة ، و التقدمى يكون أكثر رجعيـة من الرجعى المزعوم لأن التقدمى فى هذا العصر ، هو الذى لا يفكر إلا فى نفسه ، و يتحرر من جميع الالتزامات الاجتماعية ، والسلوكية ، والخلقية ، فلا يفكر إلا فى التنعم فى حياته بأى طريق.

و هكذا طغت طبيعة الدجل على هذا العصر ، و انقلبت الموازين فيه ، و إذا كان قلب الحقائق و عكس المفاهيم فنا من فنون هذا العصر فلم لا تكون القرصنة بطولة ، والاعتداء على الجار ، جهاداً ، والهزيمة نصراً ، و الحرب أمناً ، وسلاماً ، و النعامـة أسداً ، و الخاسر فاتحاً . و إذا كان الاعلام و التعليم ، و الصحافة و الاذاعة و السياسة و كل مجال من مجالات الحياة ملوثة بطبيعة الانتحال فكيف يعرف الجمهور حقائق الأمور و يكون سلوكه .

« ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها ، و من لم يجعل الله له نوراً فماله من نور .

الجامعة الاسلامية بهتكل

بقلم : الأستاذ محى الدين المنيرى
الأمين العام للجامعة الاسلامية بهتكل

إن الجامعة الاسلامية بهتكل بولاية كرناتك فى الهند إحدى المؤسسات الدينية التى تقوم بخدماتها التعليمية و التربوية منذ ثلاثين سنة وهى تقع على شاطى بحر العرب الذى نزلت به قوافل العرب تجاراً ودعاة فى نهاية القرن الأول الهجرى .

أقيمت هذه المدرسة قبل ربع قرن تحقيقاً لحاجة المسلمين فى هذه المنطقة إلى مثل هذه الدور العلمية و المراكز التربوية ، وذلك فى ١٨/ربيع الأول ١٣٨٢هـ تحت إشراف العلامة الداعية الكبير أبى الحسن على الحسنى الندوى حفظه الله و رعاه ، و كان حال هذه المدرسـة فى البداية كأمثالها من المعاهد الدينية الأخرى فى الهند ، بدأت صغيرة و بعيدة عن رغبة العامة و لكن ما لبثت أن تمتعت بمساعدة الجمهور من المسلمين و ذاع صيتها فى الخارج حتى أصبحت أكبر معقل للدين و الشريعة فى أقل مدة لهذه الولاية الجنوبية .

و الجامعة الاسلامية تتبع ندوة العلماء لكناؤ فى المنهج التعليمى و الدراسى والتربوى منذ أول يوم ، فتدرس فيها العلوم العصرية مع العلوم الدينية فهى تشكل جسراً بين القديم الصالح و الجديد النافع ، وقد أدت هذه الدار خدماتها الجليلة فى مجال التعليم و التربية أكثر مما يتوقع من المعاهد الدينية و الدور العلمية فقد تخرجت منها جماعة كبيرة من العلماء و الحفاظ إلى الآن وهم ، يخـدمون الدين و الشريعة فى المدينـة و ما حولها من البلدان و القرى فى ميادين شتى كما أنها المدرسة الوحيدة الكبيرة التى تعمل بالمذهب الشافعى فى الهند .

ولها مكتبة عامة تعد أكبر مكتبة دينية علمية فى الولاية كلها ، تحتوى على عشرة آلاف كتاب ، وبلغ عدد طلابها إلى أكثر من ثمان مأة و مدرسيها إلى أربعين سوى خدمة الأقسام الادارية ، و بلغت ميزانية الجامعة فى العام الجارى

إلى أكثر من مليون روبية هندية وهى تتم بمساعدة الجمهور و العامة من المسلمين فحسب ، ولها معاهد تعليمية ومراكز تربوية فى المدينة و خارجها وهى فروع لها ، و فيها قسم لتحفيظ للقرآن الكريم تخرج منها ستون حافظاً للقرآن الكريم إلى الآن بفضل الله و عونه .

و الجامعة لا يتقبل أى تبرع رسمى خوفاً من التدخل من قبل الحكومة الهندية فى أهدافها البنائية و غاياتها الأساسية ، وأكبر ميزة لها أن هذه الخدمات العلمية و التربوية تتم تحت إشراف العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى حفظه الله ورعاه الذى هو مشرف عام لهذه الدار .

و الجامعة فى حاجة ملحة إلى إنجاز مشاريعها المختلفة نظراً إلى سعة نظامها التعليمى و التربوى الجارى فى هذه الأيام .

و المشاريع الحاضرة التى تتطلب إنجازها فى أسرع وقت ممكن هى كما يأتى :

(١) إكمال بناية المبنى الرئيسى الفوقانى (٢) إنشاء القاعة الكبيرة للحفلات التى تنعقد فى الجامعة خلال السنة الدراسية . (٣) إنشاء غرفات و مساكن للاساتذة الذين يدرسون فيها و يعيشون فى الجامعة ليلاو نهاراً . (٤) إنشاء دار للضيوف الواردين فى الجامعة من العلماء الكبار و غيرهم . (٥) انجاز مشروع كبير فى مدينة منجلور ، اشتريت لذلك أرض واسعة فى المدينة المذكورة و اكتمل بعض البناية التحتانية إلى الآن فقط و هذا المشروع سيغنى الجامعة فى المستقبل و يغطى بعض ميزانيتها السنوية بعد تكميله ، و إنجاز هذه المشاريع المختلفة تحتاج إلى ميزانية كبيرة و مال ضخم .

فنرجو كل الرجاء من أعضاء الأمة الاسلامية أن يشعروا بهذه الحاجة الأكيدة لدى الجامعة الاسلامية ، فان الله لا يضيع أجر المحسنين . . .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

كتب حديثة

(أخطاء الفكر)

تلقت أسرة المجلة كتاب الشيخ عتيق أحمد القاسمى أستاذ دار العلوم التابعة لندوة العلماء فى الهند ، (فكر كى غلطى — أخطاء الفكر) باللغة الأردية استعرض فيه الأفكار الشاذة التى تنتمى إلى المفكر الاسلامى الأستاذ وحيد الدين خان ، مؤلف كتاب (الاسلام يتحدى) و قد نشرت فى خلال كتاباته الاسلامية فى غضون منشوراته و آرائه الدينية ، و تناولها بالنقد و التصحيح .

و قد جاء بقلم المؤلف تعريف هذا الكتاب كما يأتى :

« هذا الكتاب دراسة نقدية تحليلية لأفكار الأستاذ وحيد الدين خان الدينية ، و هو يحتوى على استعراض منصف لانحرافاته الفكرية و تصوره الدينى الجديد فى التعبير عن الاسلام و تفسير آيات القرآن الكريم و تبيين أحكام و تعاليم الاسلام ، كما جاءت فيه إشارات إلى زلاته الفكرية الخطيرة فى تفهم المشكلات المالية ، و إلى انتقاداته الجارحة لشخصيات الاسلام البارزة من الصحابة والمجتهدين و الشهداء و المصلحين و المجددين رضى الله عنهم » .

و بما أن هذا الكتاب لم يؤلف إلا لغرض صالح نرجو أن يقوم بدوره البناء فى التنبيه و التصحيح ، و يكون سبباً للعودة إلى الحق .

رحلة حج قبل نصف قرن

قام بهذه الرحلة أحد علماء الهند الكبار فضيلة الشيخ الحاج محمد حميد الدين السنبهلى رحمه الله تعالى ، قبل أكثر من نصف قرن فى عام ١٣٥٣هـ—١٩٣٥م ، يوم كان السفر إلى الربوع المقدسة لأداء فريضة الحج ، شاقا عسيراً ، فكان الحاج

يأخذ زاد التقوى والشوق الخالص أكثر من كل شئ، ويعتمد عليه فى مواصلة مسيرته وتحقيق أمنيته ، وكان لا يترك ثانية من وقته إلا و ينتهزها فى إخلاص هذه العبادة وتوطيد أواصر الحب بالله تبارك و تعالى ، و من أجل ذلك تكون الرحلة من خطواتها الأولى إلى نهايتها دروساً للناس ، وعبراً رقيقة للذين يتمنون أن تتاح لهم فرصة لأداء الفريضة فيكونوا على بينة من تفاصيلها و ما يتعرض له الحاج أثناء سفره من أشواق وأشواك ومن محن و منح ، تساعده فى الوصول إلى الغاية و نيل المنى من رضا الله سبحانه و التقرب إليه .

هنا النوع من رحلة الحج ليجدر بالنشر و الاذاعة نظراً إلى ما يحمله من فوائد كبيرة و منوعة للمسلمين بوجه عام ، وعلى هذا الأساس قام بترتيب و تنسق المعلومات التى وردت فى هذه الرحلة نجل صاحب الرحلة فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلى (رئيس قسم التفسير بجامعة ندوة العلماء) و نشرها فى صورة كتاب جيد باللغة الأردية لكى يعم نفعها بين الأوساط الاسلامية من الناطقين بلغة أردو ، أما فاتحة الكتاب فتتحلى بتقديم لسماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى و كلمة لسعادة الدكتور عبد الله عباس الندوى ، وكلمة بقلم فضيلة الشيخ محمد مسعود شميم المكى مدير المدرسة الصولتية بمكة المكرمة .

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ منة الله الرحمانى فى ذمة الله

تلقت أسرة ندوة العلماء و على رأسها سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى نبأ وفاة عالم الهند الكبير و رئيس الامارة الشرعية فى ولايتى بهار و أريسه بغاية من الأسف والأسى ، و ذلك ليلة الأربعاء ، فى الثالث من شهر رمضان الكريم ١٤١١هـ عند ما حضر صلاة التراويح مع الجماعة و فى خلال

الصلاة شعر بألم و تعب لم يتمكن معهما من إتمام صلاته و رجع إلى البيت لكى يأخذ بعض الاستراحة ، و إذا به قد استأثرت رحمة الله ، و لحق بالرفيق الأعلى ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

لقد كان الفقيد نجل العلامة الشيخ محمد على المونجيرى مؤسس ندوة العلماء و من علماء الهند الكبار شغل مناصب عديدة للعلم و الدين ، و ظل رئيساً لكثير من المؤسسات الاسلامية ، و رأس هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين فى الهند إلى مدة ، ثم اختير أميناً عاماً لها ، و كان عضوا للمجلس التنفيذى لندوة العلماء ومجلس الشورى لدار العلوم ديوبند إلى آخر أيام حياته ، أما نشاطه العلمى و الدينى فى تأسيس المحاكم الشرعية و دور القضاء الاسلامية فى الهند فمعروف لدى الجميع ، و كذلك مجهوداته فى توجيه المسلمين الدينى و إسهاماته فى الشئون الدينية المهمة فى هذه البلاد غنية عن التعريف ، حتى إنه فى أشد أيام المرض كان لاينى عن أداء واجباته الدينية و القيام بالرحلات و الأسفار المرهقة ، فكان بذلك قدوة لعلماء عصره .

وللفقيد الكريم منة على مسلمى الهند عامة و على العمل الاسلامى والقضايا المعنية فى هذه البلاد بوجه خاص ، كما أنه كان يرعى المدرسة الرحمانية فى مدينة مونجير ،ويضع إمكانياته ووسائله فى ترقيتها وتوسعة نطاق عملها التعليمى والتربوى .

كانت علاقته بسماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى وطيدة و مخلصة فى جميع الاهتمامات الدينية و الدعوية ، كما أن ندوة العلماء كانت داره التى يؤمها حيناً لآخر ، و يقضى فيها أياما بين أساتذتها و طلابها و المسئولين عنها ، و كانت زيارته الأخيرة لها قبل وفاته بشهر .

حدث بوفاته فراغ كبير فى مجال الدعوة و التربية و التوجيه الاسلامى فقد كان يمثل بشخصه عالما ذا بصيرة و رائداً دينياً يهتم بجميع القضايا والمشكلات

التى تهم المسلمين والعالم الاسلامى ، و يتخذ لها تدابير و علاجاً بكل ما أمكن .

فكانت وفاته خسارة كبيرة للمسلمين و العالم الاسلامى ، ندعو الله سبحانه أن يتداركها و يقيض لمسلمى الهند من يكون عوضاً عنه من أنجاله و تلاميذه ، و ما ذلك على الله بعزيز .

رحمه الله رحمة واسعة ، و أدخله فسيح جناته ، و ألهم أهله و ذويه و المسلمين جميعاً الصبر و السلوان .

فضيلة الشيخ قاضى زين العابدين سجاد الميرتى فى ذمة الله

أفادت الأنباء بوفاة العالم الجليل فضيلة الشيخ القاضى زين العابدين سجاد الميرتى ، فى شهر رمضان المبارك ١٤١١هـ ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

كان الشيخ سجاد طريح الفراش من أجل المرض منذ مدة ، و عاكفاً فى مدينته على عمله العلمى والدينى، وقد وفقه الله تعالى لانجاز كتب ومؤلفات عديدة وإصدار مجلة إسلامية باللغة الأردوية وله كتاب فى اللغة باسم « القاموس الجديد » نال رواجاً كبيراً بين أوساط الطلاب و المدرسين فى المدارس الاسلامية .

و قد شغل منصب رئيس القسم الدينى بالجامعة الملية الاسلامية فى دهلى إلى مدة ، كما أنه كان من أنشط أعضاء جمعية علماء الهند، والعاملين فيها باخلاص وجدية ، وكان عضو مجلس الشورى لدار العلوم ديوبند وعضو المجلس التنفيذى لندوة العلماء ، فكان يحضر دوراته فى كل عام ويقيم فى جو دار العلوم و يقضى فيه لحظات طيبة ، فى سرور و انفتاح ، ويتلقى من المسئولين عن ندوة العلماء وعلى رأسهم سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى كل ترحيب وحفاوة ، كما أنه كان كبير الاعجاب بندوة العلماء و برامجها التعليمة و التربوية ، رحمه الله رحمة واسعة ، و صفح عن زلاته و أدخله فسيح جناته ، و ألهم أهله و ذويه الصبر و السلوة ، فانه على كل شى قدير .